#نسخة_معدلة

تنبيه: هذا التفريغ جهد بشري ,حاولنا فيه أن نحافظ على كلام الدكتور كما هو – قدر الإمكان–؛إلا أنه قد لا يخلو من خطأ,ولذلك نوصي من يقرأه أن يجمع بينه وبين سماع المحاضرة المرئية, وفق الله الجميع .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد ..

- مدخل لفهم نظرية المعرفة

أعتقد أن هذا الموضوع سيهم أي إنسان مهتم بالقضايا الفلسفية،بالقضايا الفكرية، بالقضايا العقدية، بالقضايا الدينية، وسيشكل نوع من أنواع التعرف على بعض الخلفيات الثقافية التي تقف خلف كثير من صور –إما الانحراف عن الحق أو موافقة الحق– لاعتبارات علمية ومعرفية معينة.

طبعا من المسائل المهمة التي أعتقد أنها تُشكل مدخلًا مهمًا لفهم أهمية طرح مثل هذا الموضوع اللي هو[نظرية المعرفة]: أن كثيرًا ممن يُقبِل على التعرف على القضايا المعرفية التفصيلية ينطلق من رؤى معرفية مسبَّقة، بمعنى ينطلق من منهجيات معرفيّة خاصة، هذه المنهجيات المعرفية بطبيعة الحال سوف تستتبع وتولد معرفة معينة، يعني قبل ما يُفضي الإنسان لتخليق بنيانه المعرفي لا بد يتعرف أولًا على المصادر المعرفية التي يستقي منها المعلومة والمعرفة، ثمّ يتعرف إلى كيف يتعامل الإنسان مع هذه المصادر المعرفية، وكيف يستطيع المنافرة والمدافعة عن كثير من تصورات المعرفية في ضوء منهجية معرفية محددة معينة.

وبالتالي كثير من الاختلافات التي تطرأ بين البشر في قضايا معرفية قد يكون جزء كبير منها عائد إلى التباينات المنهجية في قضية المعرفة، يعني لا يلزم بطبيعة الحال ضرورةً قضية أن المعامل المعرفي هو المعامل الأوحد في تشكيل هوية الإنسان الفكرية والثقافية، لا، قد يكون ثمّة محركات متعددة، وهذه قضية شرحتها تفصيلًا في بداية كتابي "ينبوع الغواية الفكرية" أن المحركات التي تدفع الإنسان باتجاه تبني رؤية ثقافية أو عقدية أو فكرية معينة، قد لا تكون بالضرورة عائدة للمعامل المعرفي، فقد تكون عائدة إلى معامل التعصب–العصبية للآباء والأجداد أو العصبية الرئيسية أو الحزب أو الجماعة وغيرها من أنواع التعصبات–، و قد تكون عائدة إلى قضية الكبر، وقد تكون عائدة إلى قضية الحسد، و قد تكون عائدة إلى قضية محبة الإنسان للجاه، أو محبة الإنسان للمال وغيرها من المعطيات.

لكن اعترافنا بأن المحركات التي تدفع الإنسان باتجاه تبني رؤية فكرية أو ثقافية معينة لا يعني بالضرورة التقليل من شأن المعامل المعرفي، فأحد المحركات المركزية كذلك في تحديد هوية الإنسان المعرفية المعاملات المعرفية، ومما يحدد هوية الإنسان

المعرفية هي المنهجيات التي يبني فيها الإنسان في ضوئها رؤيته المعرفية الخاصة والمعينة، ولذلك إذا غفل الإنسان عن هذا المعطى وهذه الحقيقة –أن الخلاف الطارئ بين البشرية في كثير من الأحيان هو عائد إلى تحيّزات معرفيّة مسَبَّقة–، إذا غفل الإنسان سيحاول أن يعالج كثير من الانحرافات والإشكاليات الموجودة في المجال المعرفي بطريقة خاطئة.

ومن التمثيلات المشهورة التي يستطيع الإنسان أن يعبّر عنها في هذه القضية في ضوئها في الداخل الإسلامي، مثلًا أحد الإشكاليات العقديّة الكبرى التي يفترق بها المعتزلة عن أهل السنة والجماعة مسألة رؤية الله –تبارك وتعالى– في الدار الآخرة.

دائمًا لما أطرح هذا السؤال على كثير من الأحبة والزملاء: ما هو الباعث الحقيقي الذي ولّد هذه العقيدة عند المعتزل؟ بمعنى: لماذا تبنى المعتزل في مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى هذا التصوّر العقديّ المنكر له في ضوء تواتر الأدلة الشرعيّة سواء من القرآن أو من سنة النبي صلى الله عليه وسلم المعترفة بهذه الحقيقة العقديّة؟

دائمًا لّما أذكر هذا السؤال على المجموعة الشبابية يرِد الجواب على الوجه الآتي:

أن ذلك عائد إلى مثل قول الله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة و السلام : (رب أرني أنظر إليك قال لن تراني) أو قول الله تبارك وتعالى مثلا (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار).

طبعا منطقة الإشكال أن الإنسان سوف يستغرق في محاولة مجادلة المعتزلة لتثبيت هذه الرؤية العقدية في ضوء مناقشة هذه المدلولات المتعلقة بالوحي، وسيجد الإنسان في الخطاب السلفي وفي الخطاب التراثي ما يعضّد بطبيعة الحال أدوات جذرية ممتازة جدّا في المنافرة عن مدلولات الوحي، فيما يتعلق بهذه القضية بحيث أن أحد الأدوات التي تسلَّط بها أهل السنة والجماعة على المعتزلة هو (قلب الدليل) بمعنى إنه بالعكس فهذه الأدلة التي استدللتم بها على إنكار رؤية الله هي من المعضّدات المدلّلة على رؤيته تبارك وتعالى.

في قصة موسى أن موسى عليه الصلاة والسلام سأل الله عز وجل رؤيته، فلو كانت ممتنعة مستحيلة غير لائقة بجلال الله عز وجل لما جاز على نبي الله موسى أن يسأل الله عز وجل أمرًا مستحيلًا؛ لأن الله عز وجل علق رؤية موسى له تبارك وتعالى على ممكن وهو استقرار الجبل، فلما علق الرؤية على ممكِن دلّ على أن رؤيته ممكنة، وأن الله عز وجل استخدم لفظة(لن تراني)، ولم يقل: لا أُرى.

ويذكرون أوجه من أوجه الاستدلال: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) نفس الشيء، إن نفي الأخص يستلزم وجود الأعم ، وبعضهم يقول إن الله تعالى لا يتمدح بالنفي المحض العدم " لا يُرى"، لكن الله عز وجل لكماله وعظمته سبحانه وتعالى يُرى لكن لا يُحاط به رؤيةً تبارك وتعالى.

فالشاهد أن الإشكاليّة الحقيقية ليست في هذه المنطقة بدليل أن هذا الجدل الذي أقيم في ضوء هذه الدلائل الشرعية لم تعالج الإشكالية الموجودة مع المعتزلة، إذن أين منطقة الإشكال الحقيقي؟!

إن المعتزلة لّما أفضوا إلى الوحي في استدلال رؤيتهم العقدية لم يفضوا إليه بروح حياديّة تتطلب هدى الوحي في هذه القضية، بل هم ينطلقون من رؤية عقديّة مسبَّقة، رؤية عقلية تنكر إمكانية أن يُرى الله عزو جل لمعاملات معرفية مسبَّقة على معطيات الوحي، ولذا فهم لا يدخلون بروح حياديّة في خطاب الله عز وجل، لا هم يقفون من المسألة هذه موقف الامتناع والاستحالة قبلًا، بحيث لو ورد في خطاب الله عز وجل –وقد ورد– ما هو صريح في إثبات رؤيته سبحانه وتعالى، فستجدهم يتأولون مدلولات الوحي التي تتوافق مع الرؤية العقدية المسبّقة، فهم يتبنون أن الله يستحيل أن يُرى لأنه لو رئيَ للزم من ذلك لوازم فاسدة في حق الله عز وجل مثل أن يكون جسمًا وأن يكون ذا جهةٍ وأن يكون ذا لونٍ وذا مجسة وكل هذه عقائد مُشكلة عند المعتزلة وبالتالي في ضوء هذه اللوازم المشكلة عندهم ترتب عليها إنكار رؤية الله عز وجل.

و لما تريد مثلا – حتى نؤكد المسألة هذه على قضية تأوّل معطيات الوحي الصريحة الدلالة المعارضة لعقيدتهم في هذه القضية– مثل قول الله عز وجل:(وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) أن هذا أحد الأدلة القرآنية التي لا يقرأها إنسان مسلم إلا يتبنى في ضوئها عقيدة تثبت رؤيته تبارك وتعالى،(وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) فماذا يقول المعتزلة في هذه القضية؟! يقولون: لا، يوجد خطأ في فهم مدلول هذه الآية فـ "إلى" في الآية هي مفردة آلاء، والآلاء معناها النعم، فـ (إلى ربها ناظرة) استبدل "إلى" ووضع بدلها "نعمة"، فمعناها: هي نعمة ربها ناظرة، والنظر إذا عُديَّ بنفسه أفاد معنى الانتظار، مثل قول الله عز وجل :"انظرونا نقتبس من نوركم" وبالتالي نعمة ربها منتظرة، يعني هذا مدلول وجوههم هذه الناظرة في الجنّة، نعمة ربها منتظرة، طبعًا أي أحد يقرأ الآية ومايفهم من ظاهر هذه الآية يعرف أن ثّمة بون شاسع وعريض جدّا بين تأول الاعتزال لهذه الآية وما يريد الله عز وجل من هذه الآية، فما الذي حملهم إلى اللون من التأول البعيد لهذه القضية؟ لأنهم ينطلقون من رؤية عقديّة متحيّزة ضد هذه العقيدة، طيب ما الذي ولّد هذه العقيدة المتحيزة ضد مبدأ إثبات رؤية الله عز وجل؟ منهجيّة في المعرفة هي التي ولّدت هذه القضيّة، يعني توازنات العقل والنقل في الرؤية الاعتزالية، وموقع العقل كآلة استدلالية، ومنهجيات التعاطي مع القضية العقلية هي التي أفرزت هذه القضية.

و جزء من الإشكالية عائدة في الداخل الإسلامي العريض، مثلا الشيعة الإمامية على سبيل المثال لديهم تباينات في مصادر التلقي في منهجيات الاستدلال، وهي التي أفرزت كثيرًا من الخلاف العقدي والفقهي بين أهل السنة والجماعة في كفّة، والشيعة الإمامية في كفة أخرى، و إذا خرج الإنسان من الدائرة السنية والإسلامية إلى الخارج الإسلامي، بطبيعة الحال ستتفاقم الإشكالية بشكل أكبر.

ومن الأفكار التي تعبر عن هذه الفكرة أن كلما تباعدت شطآن الطرفين المتجادلين عقديا ضاقت ما بينهم شواطئ الاستدلال، وكلما تقاربوا كثرت بينهم شواطئ الاستدلال، بمعنى أنه إذا كنت تناقش في الداخل الإسلامي فمصادر التلقي المعترف فيها في الداخل الإسلامي ستكون أوسع بطبيعة الحال من الخارج.

لكن الذي يهمنا من هذه القضية: لماذا نعالج موضوع نظرية المعرفة؟ لأن كثيرًا من التصورات العقدية والفكرية والثقافية عائدة إلى تحيّزات معرفية مولّدة من خلال منهجيّات خاصة في التعامل مع مصادر التلقي أو منهجيات الاستدلال.

خذوا على سبيل المثال هذه العبارة التي تعبر عن إشكالية عميقة جدّا، وتعبّر عن نمط من أنماط التحيّز المعرفي الذي بطبيعة الحال سيولّد إشكاليّة كبيرة جدًّا فيما يترتب عليه من تصورات وأفكار: يقول أحد الداروينيين المشاهير في المجتمع الغربي:" حتى ولو كانت المعلومات كلها أو الدلائل كلها تشير باتجاه وجود مصمّم ذكي، مثل هذه الفرضيّة مستبعدة من العلم لأنها ليست طبيعية وماديّة". يعني باختصار العبارة يقول: حتى لو كانت كل الدلائل تشير بوجود مصمم ذكي هو اللي صمم هذا العالم، فهذه الفرضية لن تكون مقبولة علميًّا لماذا؟! لأنها لا تنطلق من رؤية طبيعيّة ماديّة لهذا الكون.

فالعبارة تكشف لك عن تحيّز معرفي مسبَّق، أنه ينطلق من رؤية أن الأداة التفسيرية للظواهر الطبيعية يجب أن تكون منحصرة في إطار المادة والطبيعة، وبالتالي لما تقول له لماذا لا يكون الله تفسيرًا مناسبًا لوجود الخلق وتنوع الأجناس والأنواع؟! يقول: لأن الله عز وجل ليس خاضعًا لقانون المادة والطبيعة، بل هو خارج هذا الإطار، وبالتالي إذا كان خارج عن هذه القبضة والإطار؛ فمهما أقمت من الدلائل على صحة هذه الفكرة فستظل هذه الفكرة مرفوضة عندي، لماذا؟ لأنها ليست تفسير مادي طبيعي لهذه الظاهرة.

فمثلًا أحد الفيزيائيين المشاهير جدًّا في المجال الكوزمولوجي اسمه "فريد هويل"– أحد الشخصيّات الجدليّة اللي ثوّرت سجال وجدل عريض جدًّا–، لّما بدأ يتفاقم حضور نظرية أو فرضيّة (الانفجار الكبير) في المجتمع العلمي الغربي– يعني لّما قُدّمت هذه الفرضية على الطاولة وبدأت المعضّدات تعضّد هذه الفرضية– أحد الإفرازات التي ولدتها هذه القضيّة تفيد أن الكون الذي نعيش فيه هو كونٌ محدث، كونٌ مبتدأ زمانيًّا ومكانيًّا، كون له بداية مطلقة، بمعنى أنه قبل هذه اللحظة كان عدمًا ثمّ وُجد الكون، و سيأتي الآن سؤال فلسفي وديني تالي:ما الذي استوجب حدوث الكون بعد أن كان عدمًا؟!

هذا السؤال شكّل ضغطًا هائلا على شخصيّة علميّة مرموقة مثل فريد هويل؛ لأنه هو يصرح بهذا المعنى أنه واضح جدّا أنه إذا قدمت المتديّن أن الكون الذي نحن فيه مُحدث فسيقفز ذهنه مباشرة إلى أن ثمّة إله وسيتحول (**god from small g**) إلى (**God with capital G**) أن الله عز وجل وكذا، ماالذي أفرزت هذه الحالة؟ تقديم فرضيّة بديلة عن نظرية الانفجار الكبير في محاولة تفسير بعض الظواهر التي فسرتها نظرية الانفجار الكبير التي هي (الكون الثابت المستقر). لماذا قدمت هذه الفرضية ؟ الحقيقة أن المحرك الأساسي الذي قدّم لهذه الفرضيّة هو منافرة الفرضيّة الأخرى. لماذا نافر الفرضيّة الأخرى؟ لأنه ينطلق من رؤية معرفيّة وعقديّة مسبّقة هي التي ولّدت مثل هذه الرؤية ومثل هذه الإشكاليّة.

والأمثلة والشواهد التي تعضّد هذه الفكرة والتي تؤكد على أهميّة هذا الموضوع: أنّ من المحددات الرئيسية التي تحدد هويّة الإنسان الفكريّة والعقديّة هي نظريّة المعرفة التي يتبناها الإنسان، ولذا من الدعاوي التي أطلقتها في كتابي "شموع النهار" : (أن لو لم يكن ثمّة أي دلائل علمية طبيعية تعضّد نظرية دارون في الوجود لوجد في فئام من العلماء الطبيعة والتجريب من يتبنى هذه النظريّة، طيب ما الباعث؟ لأنها هي النظرية الماديّة الطبيعية الوحيدة التي بُمكنتها أن تقدم له ولو تفسيرًا جزئيًا للمشكلة– مشكلة تعدد الأجناس والأنواع الحاضرة والموجودة– وبالتالي هو ينطلق من هذه الرؤية، يقول لك: أن نحن أمام فرضيتين: إما أن الله هو خلق هذه الأنواع والأجناس، أو الداروينية هي التي طورتها، الله عز وجل بالنسبة

إليه مستبعد من العملية مباشرة؛ لأنه ليس خاضعًا للتفسير المادي الطبيعي، وبالتالي هذا هو التفسير المادي الطبيعي الذي يمكن التعلّق به، أنا أزعم حتى لو لم يكن ثّمة أي دلائل تعضّدها هي مجرد فرضيّة قدمها إنسان على الطاولة ستجد لها حضورًا وإقبالًا كبيرًا جدّا في المجتمع العلمي، لماذا؟! لأن ثّمة حال من حالات التحيّز المعرفي المسبّق حيال تبني هذه النظرية.

ومسألة التحيّز المعرفي لا يلزم بالضرورة أن تكون موطن من مواطن الذم، نأخذ مثال من موضوع الدارونية على سبيل المثال: المسلم حين يقبل على دراسة نظريّة دارون هو يقف منها بنوع من أنواع التحيّز المضاد، هو ينطلق من رؤية عقديّة تتبنى أن آدم عليه الصلاة والسلام أبو البشر خلقه الله عز وجل بيده تبارك وتعالى وأسجد له ملائكته، وأنه صلى الله عليه وسلم آدم لم يكن له أب ولم يكن له أم، ينطلق من هذه الرؤية العقدية، وبالتالي لما يقدم الدارونيون ويضعون آدم كحلقة في سلسلة المخلوقات وأنه هو أتى من تناسل القردة الدنيا للعليا وغيرها فهو يقف، أنه عنده إشكالية عقديّة متعلقة بهذه القضية ، وبالتالي هو متحيّز ضد هذه الجزئية على سبيل المثال المتعلق بنظرية الدارون وتفاصيل متعلقة بالدارونية بطبيعة الحال لن يتم معالجتها في الموضوع معنا اليوم، لكن الشاهد لماذا يتحيّز المسلم للحقيقة القرآنية فيما يتعلق بهذه القضية؟! لأن هو يبنيها على منهجيّة علميّة معينة، أن إذا ثبت عندي صدق هذا الرسول ولما ثبت عندي صدق هذا الرسول فمن الطبيعي أن أصدق بما يأتي به وهكذا فيستطيع الإنسان إقامة منظومة معرفية تتعلق ببواعث هذا التحيّز المعرفي لخطاب الكتاب وخطاب السنّة.

نظريّة المعرفة إذا درس الإنسان المجال الفلسفي في القديم والحديث فسيجد أن أحد القضايا المحوريّة والمكونات الرئيسية داخل البحث الفلسفي ما يتعلق بنظرية المعرفة، هذه قضية ليست مثار إشكال عند الفلاسفة، فأحد القضايا الكبرى التي يبحثها الفلاسفة هي نظرية المعرفة، بل من القضايا المتعلقة بالمجال الفلسفي وهي أحد المسائل التي تكاملت إلى حد ما ونضجت على يد أرسطو طاليس اللي هو المنطق الأرسطي على سبيل المثال.

المنطق الأرسطي هي أحد المحاولات الإنسانية البشرية لوضع منظومة معرفية معينة ومنهجية في التحصيل المعرفي، يعني هي في النهاية العلم بالمنطق كما يعرفه المناطقة: (هي آلة تعصم الذهن من الوقع في الزلل والخطأ) ، وبالتالي هي منتمية لمجال أو هي فعلًا أحد النظريّات المعرفيّة،هي نظرية معرفية تستخدم من أجل عصمة الذهن من الوقوع في الخطأ والزلل، لكن الملحوظ من القرن السابع عشر تقريبًا إلى العصر الحديث أن باتت هذه القضية قضية نظرية المعرفة في إطار الفلسفية أم القضايا كما يقال، هي القضية المحورية القضية المركزيّة، غالب اشتغال الفلاسفة هي بنظرية المعرفة ، فلو أراد الإنسان أن يتحدث عن الفلسفة الحديثة اليوم فيمكنه أن يدعي ويقول أنه في النهاية هو بحثه في نظرية المعرفة لأن الجسد الفلسفي الأعرض الذي يجده الإنسان هو ما يتعلق بنظريّة المعرفة.

ابتدأت محاولات اوضع نظرية المعرفة داخل الإطار الفلسفي كفرع فلسفي مستقل عن جسد الفلسفي العام وبدأ يتضخم شيئًا فشيئًا حتى غلب في جمهور المسائل الفلسفية، وأول المحاولات التي وجدت مقالة كتبها "جون لوك" ، أو كتاب وضعه الفيلسوف الليبرالي المشهور له ورقة عنوانها "مقالة في الذهن البشري" صدر في عام ١٩٦٠ميلادي، ويمكن

أن تعد هذه المحاولة هي المحاولة الأولى المؤسِّسة لوضع نظرية للمعرفة، يعني أول محاولة لوضع علم اسمه المعرفة النظرية كانت على يد "جون لوك"

ولا يعني هذا بطبيعة الحال أنه لم يكن ثمّة علم ببعض التفاصيل وبعض القضايا المتعلقة بنظرية المعرفة، ولكن هو حاول أن يضع إطار علمي لهذه القضية، مثلما نقول أن علم مصطلح الحديث جاء متأخرًا وعلم أصول الفقه، وأصول هذه المعارف والعلوم كانت مدركة عند العلماء المسلمين من قبل ما توضع في قوالب علمية خاصة ومعينة.

- من الشخصيّات المهمة جدّا لأي مهتم ودارس لنظرية المعرفة شخصيّة سبقت "جون لوك" ، وهو "رينيه ديكارت"، وله أبحاث متعددة فيما يتعلق بنظرية المعرفة ومن الإسهامات المشهورة جدا والمهمة جدّا التي قدمها هي مسألة "فطريّة المعرفة".

ظهر مصطلح نظرية المعرفة – يعني كمصطلح نظرية المعرفة بالتعبير عن هذا الحقل المعرفي – في عام ١٨٣٢ على يد راين هولد في كتابه (نظرية ملكة المعرفة الإنسانيّة والميتافيزيقا) ، و ترعرت نظرية المعرفة وتكاملت بشكل كبير جدّا على يد الفيلسوف الألماني الشهير جدًّا "كانت" والذي أثرى كثيرًا من مباحث نظرية المعرفة، وألف فيها مجموعة من الكتب والمؤلفات، مثل " البحث في علاقة الذات العارفة والموضوع والعلاقة بين الماهيّة والوجود، حدود المعرفة الإنسانية، قيمة الأدوات المعرفية وغيرها" .

ثم ظهر بعد ذلك الوجود مصطلح في التعبير عن نظرية المعرفة الذي هو مصطلح "الابستمولوجيا" والابستم: تعني المعرفة ولوجيست: تعني العلم، فـ "الأبستمولوجيا " تعني علم المعرفة .

ويبدو أن أول من استخدم هذا المصطلح كان أحد الشخصيات اسمه "جيمس فريدريك فريه" استخدمه في كتابه "أسس الميتافيزيقيا" حيث ميّز في هذا الكتاب بين حقلين فلسفيين: سمّى الأول ابستمولوجيا وسمى الثاني أنطولوجيا، "علم المعرفة_وعلم الوجود" .

والذي لاحظ تداول الابستمولوجيا كمصطلح داخل الوسط الغربي لاحظ أن ثمّة أشبه بمدرستين، المدرسة البريطانية والمدرسة الفرنسية، فالمدرسة البريطانية لا تفرق بين الأبستمولوجيا ونظرية المعرفة كلاهما وجهان لعملة واحدة وكلاهما مساوي للآخر، وبالتالي في العرف البريطاني إذا وجد كتاب يتكلم عن الابستمولوجيا فهو يتكلم عن نظرية المعرفة. أما في العرف الفرنسي لا، فيفرقون بين الابستمولوجيا ويجعلون له تناول ومدلول الخاص ونظرية المعرفة يتداولونها في إطار آخر، المصطلح الأكثر شيوعًا وتداولًا هو العرف البريطاني لمصطلح الابستمولوجيا، ولذا أكثر الدراسات المتواجدة في المجتمع الغربي التي تعرض قضية الابستمولوجيا هي تعرض في النهاية نظرية المعرفة، ولو بحث الإنسان في جوجل أو بحث في اليوتيوب باسم الابستمولوجيا فيجد أن كلاهما يدلان على مدلول واحد.

* طبعًا أحد القضايا الملاحظة في عامة الدراسات التي ألفت في نظرية المعرفة بالذات في الوسط الغربي هو غيبة الحضور الإسلامي من الجدليات المتعلقة بنظرية المعرفة ، فمن القضايا اللافتة للنظر في تداول كثير من الغربيين للإطار الفلسفي هو

التعبير الذي استخدمه " ويليام لين كريغ" – وليام لين كريغ أحد أشهر المناظرين النصارى للملاحدة في المجتمع الغربي– في رسالته للدكتوراه كانت عن الدليل "الكوزمولوجي" لإثبات وجود الله عز وجل أو الدليل الكوني لإثبات الله عز وجل– طبع الكتاب في جزئين: الجزء الأول يتعلق بتاريخ هذا الدليل الكوني يعني بدأ من أرسطو إلى بتيز، والكتاب الثاني كان عنوانه (الدليل الكوني الكلامي) في أول صفحة في الكتاب في الجزء الثاني – يقول بصريح العبارة: لم يصل هذا الدليل على مستوى من النضج كما وصل على يد علماء الإسلام ولا يوجد مرحلة تأريخية تعمِّد التغافل عنها كما تعمِّد التغافل عن هذه المرحلة التاريخية – لاحظ الاعتراف الذي يصدره– يقول: أن الإنسان لما يطلع على الكتابات الفلسفية والكلامية التي كتبت بهذا الدليل سيجد قد بلغت الذروة في مقابل نوع من أنواع تعمد التغافل عنها داخل الفضاء الفلسفي الغربي المعاصر ، ولذا من الملحوظات أنه إذا فتح الإنسان أي مدونة كلامية– مثلا : أبو بكر الباقلاني كتاب تمهيد الأوائل وترخيص الدلائل ، وأبو منصور البغدادي في أصول الدين ، وفخر الدين الرازي محصور في علم ...الخ يعني الكتب الكلامية والكتب الأصولية– سيجد ثمة جدل واسع للعلماء المسلمين فيما يتعلق بمفهوم المعرفة ، ومفهوم العلم، وما يتعلق بالفروع المتعلقة بهذه القضية .

يكفي أن تدركوا هذا الكتاب " المختصر الكلامي" لأبي عبدالله محمد بن محمد ابن عرفة التونسي المالكي– الكتاب هذا دائما إذا أردت أن أعرف مختلف التوجهات داخل المدرسة الكلامية أو قضية من القضايا فأول كتاب أرجع له المختصر الكلامي لأنه يختصر لك بشكل سريع جدا أهم الاتجاهات الموجودة داخل الاطار الكلامي– ، في ص (٤١٨) تكلم عن الباب الثاني في المقولات في الإدراكات " المسألة الأولى" قال فيها : "من الكيفيات المختصة بذوات الأنفس المسماة بالحال والملكة " العلم" والآن يبدأ يتناول عن قضية الجدل في مفهوم العلم وماهية العلم" ، قلت:ففي امتناع حده لتعذر إدراك جنسه الأقرب أو لتصوره ضرورة لأن غيره لا علم به .. إلخ.

وبدأ يطرح الموضوع والكتاب اسمه: المختصر الكلامي يعني ليس من شأنه التطويل في مثل هذه المباحث والكلام من (ص ٤١٨–٤٥٢) هو مختصر كلام في ذكر الاتجاهات المتباينة المختلفة في : أولا مفهوم العلم هل بالإمكان تعريف العلم ؟ هذه القضية الأولى ، القضية الثانية: ماهي الفروع المهمة المندرجة تحت هذه القضية ، والإسهامات الإسلامية في هذا المضمار كثيرة.

طبعا إذا خرج الإنسان عن إطار الكتب الكلامية يعني الكتب التي وضعت مباحث مستقلة لمعالجة هذه القضية ودخل في الفضاء العقدي العام ـــ فسيجد أنه ثمة إسهامات متعددة و كثيرة جدا، فهذا المنتج كتاب يقع في أكثر من ٧٠٠ صفحة تقريبا بعنوان " منهج ابن تيمية المعرفي، قراءة تحريرية للنسق المعرفي التيمي لـــ د. عبدالله الدعجاني" كتاب استطاع من خلاله الباحث أن يوظف كثيرا من المقولات التيمية لمعالجة الكثير من السؤالات المتعلقة بنظرية المعرفة ، وبالتالي أزعم أنه لن يَتكامل مايتعلق بنظرية المعرفة تكاملا جيدا مالم يستوعب المتحدثين في نظرية المعرفة الجهد الإسلامي الذي قدم في معالجة هذه القضية .

وموجود في الفضاء العربي –كما يُقال– بعض المحاولات الدراسية لدراسة هذا الملف و ملحوظة هذه الإشكالية ، فمثلا من الكتب الجيدة كتاب لـــ د.محمود زيدان كتاب " نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين" ، فعلى الأقل في الكتاب تجد أنه فيه محاول لتوظيف بعض المواد العلمية الإسلامية في معالجة الجدليات في هذه القضية، مثل أطروحات أبو حامد الغزالي وأطروحات ابن رشد و غَيرِهم ، والمسألة حقيقة تحتاج إلى جهد أزعم أنه أكبر من هذا وأثرى.

من الكتب الجيدة التي أنصح المهتم بنظرية المعرفة أن يَبتدئ مشواره بمطالعة مايتعلق في هذه القضية: كتاب " د. زكي نجيب محمود المتعلق بنظرية المعرفة " – والكتاب شبه مفقود – ومعروف د.زكي أنه فيلسوف وأديب، وبالتالي صياغته اللفظية لهذه المادة العلمية كانت صياغة موفقة إلى حد كبير جدا، لكن يراعي الإنسان أن د.زكي رائد الوضعية المنطقية في الوطن العربي، فبالتالي كثير من الرؤى الذاتية التي وجدناها في هذا الكتب وغيره قد لا تكون هي الأقرب إلى الحق لكن على الأقل يدرك الإنسان من خلاله كثير من المدارس المعرفية المتباينة المنوعة ، ومن الكتب كتاب " الوضعية المنطقية في فكر زكي نجيب محمود " كتاب ألفه د. عبدالله الدعجاني –صاحب كتاب المعرفة عند ابن تيمية – ، ويوجد كتب متعددة مثل كتاب " المدخل عن نظرية المعرفة" لـــ أبو عبدالرحمن عقيل الظاهري" وفيه بعض اللفتات الجميلة، و" مقدمة في فلسفة المعرفة" لـــ إبراهيم تركي ، وكتاب " نظرية المعرفة العلمية " من الكتب المركزية لروبير برانشيه وغيرها من المؤلفات والكتب .

ولا أخفيكم عن ما يتعلق بسؤالات نظرية المعرفة وبعض الجوابات وتحليل المدارس المعرفية المتنوعة فيها قدر من الصعوبة والتعقيد النسبي، فبالتالي يحتاج الموضوع إلى قدر من التركيز حتى يدرك الإنسان بعض التفاصيل المتعلقة بهذا الموضوع، وإذا أدرك الإنسان التفاصيل المتعلقة بهذه القضية سيدرك الإنسان من خلالها كثير من المقولات المعرفية والعلمية.

ففي برنامج " صناعة المحاور" في المستوى الأول في المادة الأولى في الأدلة العقلية طرح سؤال: هل بالإمكان الاستدلال على الله عقلا أم لا ؟ ثم ذكرت اتجاهات معينة، فمثلا من الاتجاهات التي ذكرت المدرسة الحسية " جون لوك" على سبيل المثال، والإشكالية أنه أجاب بـــ " لا " لا يمكن ذلك لأنه منحصرة المعرفة الإنسانية البشرية في التجربة الحسية ، مثلا ذكرنا "كانت" على سبيل المثال ذكر بأنه رائد الفلسفة النقدية، وما هي بواعث "كانت "على تبني هذا التصور وهكذا ، فالشاهد أنه لما قدمت المادة أزعم أن كثير من الزملاء لم يفهم بعض التفاصيل المتعلقة بجَوابهم "لا" على سؤال هل من الإمكان الاستدلال على الله عقلا ؟ ؛ لأنهم غير مدركين لتفصيل المدرسة المعرفية التي إما ولدوها أو ينتمون إليها، فاليوم محاولة لاطلاع المهتمين على مثل هذه المدارس الفلسفية، وفي ضوء هذا الاطلاع يدرك الإنسان لماذا أجابوا على ذاك السؤال مثلا بـــ "لا".

في حين الجواب المحقَّق بما يتعلق بإمكانية الاستدلال على الله عز وجل عقلا "نعم" مع شيء من التفصيل يعني من التفاصيل المتعلقة الاعتراف بفطرية معرفة الله تبارك وتعالى، وأن قصارى ما يقدم الاستدلال العقلي على الله عز وجل ليس إقامة الحجة والبرهان والدليل على وجوده تبارك وتعالى وكأن الإنسان يحصل معرفة لم تكن متحققة له سلفا، وإنما قصارى

ما يقدمه الدليل العقلي هو التذكير بمقتضى الفطرة الأولى ، هذا أحد المعطيات المركزية، وأن القاعدة الضابطة لامكانية الاستدلال عقلا أو تذكير الإنسان بذلك المكون الفطري هو قانون " علاقة الأُثر بالمؤثر" يعني يفتح للإنسان أُفُقًا في إمكانية الاستدلال على الله عز وجل بالآثار التي أوجدها الله تعالى في خِلقته تبارك وتعالى .

أحد الفلاسفة الغربيين اسمه " أوزفلت كولبه" يتحدث عن نظرية المعرفة يقول عنها : " من أعقد البحوث الفلسفية التي تتطلب في إدراكه مقدرة خاصة عن التفكير في المسائل المعنوية البحتة، بل يعد الإلمام التام بمسائل المعرفة أول عتاد الفيلسوف ، ويعده بعضهم أنها هي الفلسفة" .

بطبيعة الحال، الموضوع يتسم بقدر من التعقيد لأن الإنسان يبحث في العلم ذاته. يعني إذا كان ثمة صعوبة لتعلم بعض الأمور الخارجة عن الإنسان، فأن يُسلط الإنسان عدسة البحث العلمي على ماهية العلم ذاته بطبيعة الحال سيكون البحث فيه قدر من الوعور والتعقيد. وهو من المجالات التي تدل على عبقرية البشرية والإنسانية – أي عندهم مقدرة أنهم ينتقلون "بالبحث عن والمعرفة المتعلقة بالأشياء" إلى "البحث ومحاولة التوصل المعرفي لذات المعرفة وما يتعلق بها من سؤالات"–.

من المسائل التي أنبّه إليها أيضا فيما يتعلق بنظرية المعرفة أنّ ثمة مجالات وفنون وعلوم مستحدثة في السياق البشري المعاصر ينبغي العناية بها والاهتمام، والعناية بها والاهتمام يفتح للإنسان أفقا في إدراك كثير من التفاصيل العلمية المعرفية، يعني مثلا من المجالات ما يسمى بعلوم الأعصاب (**neuroscience**) على سبيل المثال وعلم وظائف الدماغ، إذا قرأ الإنسان في مثل هذه المجالات وأذكر من الكتب الأجنبية التي قرأتها (**٥٠ Ideas you really need to know the human brain**) وهي سلسلة كتب خمسين فكرة مركزية عن موضوع عقل الإنسان البشري، وبعضها ترجم للعربية. وكثير من مادة هذا الكتاب مستقاة من ما يتعلق بالـ (**neuroscience**) وعلوم الأعصاب كتاب (**Fundamentals of Cognitive Neuroscience**). ومن الكتب التي لم أقرأها ولكن اطلعت على الفهرس ووجدت فيها بعض المباحث التي قد تكون مفيدة في هذا الإطار كتاب (المتخفي– الحيوات السرية للدماغ) لديفيد أيجلمان ونقله إلى العربية حمزة هملزين.

فالشاهد أن علوم الأعصاب وحتى علم النفس التجريبي، أزعم أن فيها مادة علمية مثرية لكثير من الجدليات الفلسفية، والغريب أن إلى هذه اللحظة هناك نوع من أنواع عدم البحث وعدم التداخل (عدم وجود نوع من أنواع الانتفاع في كثير المؤلفات الفلسفية من المادة العلمية الموفرة) ويمكن في ثنايا الموضوع أطلعكم على بعض القضايا المتعلقة بهذا الإطار التي تكشف للإنسان فعلا عن مركزية بعض المباحث المتعلقة بهذا الفضاء وأثره في الفضاء الذي نتحدث عنه.

مفهوم نظرية المعرفة أو من أوائل المسائل المركزية ما هو مفهوم نظرية المعرفة؟ نظرية المعرفة كما عرّفها كثير من المهتمين وأنا هنا أستقي التعريف الذي وضعه جميل الصليبي في كتابه (المعجم الفلسفي) يقول "بحث في طبيعة المعرفة وأصلها وقيمتها ووسائلها وحدودها" يعني هو التعريف بالمكونات الذاتية لهذا العلم أي قسّم هذا العلم، فهو يدور حول النقاط المركزية الآتية فبعثرها في أثناء التعريف. فنظرية المعرفة علم يسعى للجواب على الأسئلة المركزية التالية والتي منها:

- هل بالإمكان إدراك الحقائق؟
- هل بالإمكان الثقة بما ندركه؟
- ما حدود الإدراك الإنساني البشري؟
- ما مصدر هذا الإدراك؟
- ما حقيقة الإدراك؟ وحقيقة العلم والمعرفة؟

هذه بعض السؤالات التي تحاول نظرية المعرفة أن تعالجها..

طبعا، بعض الباحثين- وهذا الطريق الذي اعتمده الدكتور زكي نجيب محمود في نظرية المعرفة-يدوّر مسائل نظرية المعرفة على ثلاثة نقاط مركزية أو ثلاثة سؤالات مركزية وهي:

- السؤال الأول: ما طبيعة المعرفة؟
- السؤال الثاني: ما مصادر المعرفة؟
- السؤال الثالث: ما إمكانية المعرفة؟

وبعض الباحثين يزيدها إلى خمسة أقسام فيضيف إلى الثلاث أسئلة السابقة:

- السؤال الرابع: ما حدود المعرفة؟
- السؤال الخامس: ما صدقية المعرفة؟

وحتى نختصر الوقت سنتقتصر على الثلاث الأُوَل ،وعمليا الانتين نستطيع أن نردها بنوع من أنواع الرد إلى المعطى، فإمكانية المعرفة لها اتصال بحدود المعرفة – يعنى أول سؤال يطرح:

- هل بإمكان الإنسان أن يتوصل إلى المعرفة اليقينية؟ أم لا؟ إذا جاوب بـــ (نعم) فما حدود هذه الإمكانية؟

فنبحث هذا السؤال, وصدقية المعرفة له علاقة بطبيعة المعرفة – يعني ما مدى انطباق التصور العقلي عن الأشياء الموجودة في الخارج، وكيف يستطيع الإنسان أن يتوثّق من صدقية تعرفه على العالم الخارجي، وهذه مسائل ستتضح طبيعة ملامحها بشكل أوضح فيما يأتي في ثنايا الموضوع.

أول شق يتعلق بموضوع نظرية المعرفة وهو جزء من عنوان هذا المصطلح أو هذا العلم –هو مفهوم المعرفة أو العلم ذاته. ما مفهوم العلم؟ ما مفهوم المعرفة؟

المعرفة في اللغة: هي بمعنى ضد الإنكار، وإذا دخل الإنسان في محاولة التفصيل فيما يتعلق بماهية العلم وماهية المعرفة فسنتوه. وقد ذكرت قبل قليل في مختصر الكلام اتجاهات – يعني أول قضية يجب أن تحسمها (القضية الأولى) هل بالإمكان وضع حد وتعريف له أو ليس بالإمكان؟ فهناك اتجاه يرى أنه ليس ثمة إمكانية وضع حد وتعريف ولهم مدارس، لهم مآخذ متباينة، والذي يقول بإمكانية الوضع لهم جدليات واسعة عريضة جدا في طبيعة الحدود والتعريفات التي

وضعوها. لكن من أشهر التعريفات المتداولة داخل الإيطار الكلامي والإيطار الأصولي أن العلم أو المعرفة "هو إدراك الشيء على ما هو عليه" وهذا تعريف دارج ومشهور جدا.

أحد الملحوظات المتعلقة بنظرية المعرفة وهي قضية مركزية مهم إدراكها، بَحْثنا ومحاولات الفلاسفة الذين يعالجون نظرية المعرفة هو في تحصيل المعرفة القطعية اليقينية، يعني عندما نسأل سؤال "إمكانية المعرفة" ليست القضية أن يتحصل الإنسان على أي مستوى من مستويات المعرفة، لا، هم يتكلمون عن الدرجة القطعية اليقينية من التحصيل المعرفي. هذه قضية ينبغي ملاحظتها واستحضارها في ثنايا الموضوع، عندما نتكلم مثلا عن المدرسة العقلية، المدرسة العقلية لا تعير الحواس اعتبارا في التلقي المعرفي، هل يلغي هذا قيمتها بالكلية؟ هم لا. يقولون: الحاسة لا تستطيع أن تفضي بنا إلى معرفة قطعية يقينية. هنا منطقة الجدل في هذه الدائرة، عندما نتكلم عن طبيعة المعرفة أو إمكانية المعرفة فليس إمكانية المعرفة أن يتحصل الإنسان على أي لون من ألوان أو درجة من درجات المعرفة، لا بل هل بالإمكان أن يتحصل على الدرجة القصوى المتعلقة.

ومن الملحوظات المهم استحضارها قبل مانفضي في بعض المسائل المتعلقة بنظرية المعرفة وهي أيضا قضية مركزية أن طبيعة الموضوع هو أشبه الدرس المدرسي كما يقال أو الكتابة المدرسية المتعلقة بنظرية المعرفة – يعني أننا نحاول أن نقدم موضوع بنوع من أنواع التبسيط المناسب لاختصار الوقت وكونه مقدمة فيما يتعلق بنظرية المعرفة وإلا إذا دخل الإنسان في تفاصيل الجدل الكلامي أو الجدل الفلسفي فيما يتعلق بنظرية المعرفة سيكتشف أن المسألة أكثر تعقيدا وأكثر عمقا مما سنعرضه في ثنايا الموضوع. فمثلا لما نذكر المدرسة الواقعية لما نتكلم عن طبيعة المعرفة، فعمليا المدرسة الواقعية تضم تحتها مدارس واتجاهات متعددة، ونحن لن نذكر إلا الواقعية الساذجة والواقعية النقدية، ولكن هذا لا يعني أنه لا توجد إلا هاتين المدرستين المتعلقين بالمدرسة الواقعية، لا عندنا أنماط كثيرة جدا، وغالبا تلاحظ عندما تتكلم عن مصدر من مصادر المعرفة هناك تدرجات فالموضوع ليس أبيض وأسود كما يقال في التعاطي مع الملفات كثيرا في هذا الموضوع.لا! فيه نوع من أنواع التدرجات من الأبيض إلى الأسود و مابينهما من درجات الرمادي. فالشاهد أن الموضوع معقد بشكل كبير جدا ولكن نحاول أن نبسطه بشكل يليق بطبيعة الموضوع.

من المسائل الأولية قبل أن ندخل إلى الثلاث سؤالات المركزية الذي سيدور حولها الموضوع (العلم بالله عز وجل) هو ما مفهوم العلم والمعرفة، فذكرنا أن من المصطلحات المتداولة بالذات في الفضاء العربي والفضاء الإسلامي والفضاء الأصولي والفضاء الكلامي أن المعرفة أو العلم "هو إدراك الشي على ما هو عليه." هناك جدل عريض وواسع لن أذكره هنا وهو قضية التفريق بين المعرفة وبين العلم، و من أفضل من وجدته ناقش هذه القضية بشكل لطيف،بشكل جميل جدا الإمام ابن القيم في مدارج السالكين، فتكلم وقال بأن قضية المعرفة لها اتصال بالبعد الصوفي (مثلا يقولون أنا العارف بالله) وبالتالي بدأوا يناقشون مصطلح المعرفة وطبيعة العارف، وابن القيم ناقش هذا المسألة بشكل ممتاز جدا واستطاع من خلالها أن يضبط كثير من الفروقات المتعلقة بالعلم وطبيعة المعرفة، لكن إجمالا في طبيعة التداول الذي نناقشه أنه عندما نطرح نظرية العلم فهي تساوي نظرية المعرفة فليس هناك ذلك الفرق الموضوعي بين هذا التداول وهذا التداول.

أشهر التعريفات لنظرية المعرفة أو نظرية العلم في التداول الفلسفي الغربي يعرفون المعرفة بـــ (**a justified true belief**) إيمان أو تصديق مطابق للواقع مبرهن أي أنها تدور حول ثلاث معطيات مركزية: (**justified**) أي مبرهن، (**true**) حقيقي، أو مطابق للحقيقة، (**belief**) تصديق – يعني هي قضية تصديقية مطابقة للواقع أو مطابقة للحقيقة ومبرهنة.

لاحظ التعريف الذي ذكرناه "إدراك الشيء على ما هو عليه" تقريبا متطابق مع هذا التعريف إلا في قضية البرهنة (في ذكر البرهنة في إطار التعريف)، وذكر هذه القضية موجود في ظل الجدليات القائمة الموجودة. فمثلا من الجدليات أن إدراك الشيء على ماهو عليه قد يكون ناشئا للمقلّد والعالم وكيف يكون معتبرا مثلا معرفة المقلد في هذه القضية وهي معرفة ليست ناشئة عن البرهنة الذاتية وإنما ناشئة عن ... إلخ هناك جدل طويل عريض متعلق بهذه القضية.

أحد الصور المعبرة عن فكرة التعريف، لماذا وضع الغربيون هذا التعريف (**a justified true belief**) هي هذه الصورة:

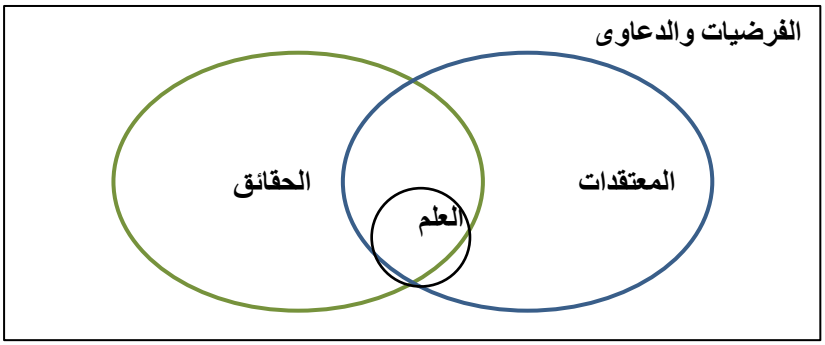

عندك دائرتين: دائرة المعتقدات المتعلقة بالإنسان، و دائرة الحقائق الموجودة في الخارج. فيه تقاطع بين الدائرتين. منطقة التقاطع بين الدائرتين هي منطقة إمكانية البرهنة على المعتقدات لأنها هي الثلاثة ركائز:

١. معتقدات: مبرهنة ومعتقدات غير مبرهنة
٢. فضاء الحقائق: هناك فضاء للحقائق الواقعة تحت الاعتقاد وهناك فضاء للحقائق خارج الإطار الاعتقادي.
٣. المنطقة المشتركة هي الحقائق المعتقدة المصدق بها. فإما أن تكون البرهنة عليها ضعيفة أو ليست مبرهن عليها أصلا أو تكون مبرهن عليها. فما كان من قبيل الحقائق المصدق بها المبرهنة هي دائرة العلم أو دائرة المعرفة. إنه من الضروري استحضاره. لماذا؟ لأنه سنناقش الآن طبيعة المعرفة ومصادرها فمنطقة الجدل والبحث هي هذه المنطقة – منطقة الحقائق المبرهنة المصدق بها.هذه هي القضية باختصار.

السؤال المركزي الأول: ما طبيعة المعرفة ؟

سؤال ما طبيعة المعرفة الإنسانية البشرية وما حقيقتها يناقش قضية مركزية متعلقة بنظرية المعرفة وهي الصلة والعلاقة بين الذات المُدرِكة والذات المُدرَكة – يعني الإنسان باعتباره ذات مدرِكة ما هي طبيعة العلاقة التي تتولد وتنشأ حين يشاهد العالم الخارجي (ضرب الشيخ مثالا وهو يمسك كتابا، فالكتاب هو ذات مدرَكة، والإنسان الذي يحمله هو الذات المدرِكة) ماهي طبيعة العلاقة الموجودة بين الذات المدرِكة والذات المدرَكة في الخارج؟ ما هي طبيعة العلاقة الموجودة بين الطرفين؟

هناك ثلاث اتجاهات مركزية في تحديد طبيعة المعرفة وتحديد طبيعة العلاقة وماهي المعرفة التي تنشأ في النفس الإنسانية البشرية حين يطالع العالم الخارجي.

هذه ثلاث اتجاهات كبرى، وهناك اتجاهات غيرها كثيرة كما أوضحنا سابقا، ولكن هذا اختصار للموضوع

الاتجاه الأول: الاتجاه الواقعي

القضية المركزية الأولى والكبرى التي يؤمن بها أصحاب الاتجاه الواقعي أنهم يؤمنون بأن ثمة تحقق موضوعي للعالم الخارجي. ماذا نعني بهذا الكلام؟ مثلا هذه الطاولة لها وجود حقيقي بغض النظر عن وجود الذات المدرِكة أو عدم وجود الذات المدرِكة. المؤمنون من أصحاب هذا الاتجاه يؤمنون بأن الكون له تحقق حقيقي موجود بغض النظر عن وجود الإنسانية والبشرية أو عدم وجود الإنسانية والبشرية – يعني قبل أن يخلق الله آدم كانت السماوات والأرض موجودة، لم تنشأ السماوات والأرض لمجرد وجود الذات المدرِكة بل هي لها تحقق موضوعي بغض النظر عن وجود الذات المدرِكة أو عدم وجود الذات المدرِكة. بمعنىً آخر وهذا سيتضح بشكل أكثر عندما ننتقل للمدارس الأخرى (ضرب الشيخ مثالا بأنه لما نخرج جميعا من هذه الغرفة –غرفة بها كتب– فنحن نعتقد من أصحاب هذا الاتجاه بأن الكتب ستظل موجودة لأن لها وجود حقيقي. فلو خرج شخص مثلا من هذه المكتبة وتعرض لحادث سيارة وتوفي فهذا لن يغير من وجود هذه المكتبة شيئا) هذا أصحاب هذا الاتجاه. القضية الأساس هي أن الذات المدرِكة لها صلة وعلاقة في إدراك العالم الخارجي لكنها تنطلق من رؤية أن العالم الخارجي هو الذي يولّد هذه المعرفة المتحصلة عندي ومعرفتي تبع للعالم الخارجي وليس العالم الخارجي تبع لمعرفتي. هذه القضية المركزية الأولى.

هناك اتجاهين أساسين واقعين تحت المدرسة الواقعية التي تؤمن بواقعية الأشياء أي أن لها تحقق واقعي موضوعي بغض النظر عن وجودنا لندركها أو لا ندركها.

١. الاتجاه الأول: الواقعية الساذجة المقصود بها البسيطة وهي تمثل الموقف الطبيعي البشري الإنساني من هذه القضية. وهو الموقف الذي يقفه أكثر الناس

ما هي فكرة الواقعية الساذجة باختصار؟ أن الإدراك الحسي للإنسان للعالم الخارجي إدراك مطابق للماهيات الخارجية – يعني أغلب الناس إذا مشى في الطريق ورأى شجرة أو سيارة أو كذا فيتعاطى مع هذه الحقائق باعتبارها حقائقا يقينية قطعية ويتلقاها بشكل مباشر. يقول أصحاب هذا الاتجاه أن الإنسان أشبه بالكاميرا التي تلتقط الصور الخارجية وتنقلها إلى العقل، وأن الحواس البشرية الإنسانية هي نواقل معرفية وليست محلا للمحاكمة المعرفية – هي تنقل المعرفة/ العالم الخارجي إلى الذهن فيتحصل على الصور بقدر دقة هذه الكاميرا في التقاط هذه الصور يكون دقة ومقاربة الإنسان في إدراك العالم الخارجي.

القضية وما فيها أنهم يتلقون العالم الخارجي تلقيا مباشرًا من غير وساطة (مثلا العقل) أو معالجة الموضوع. فلو رأى أمامه طاولة فيعتقد مباشرة أن أمامه طاولة، ويجد الإنسان أنه يقفز لذهنه هذه المعطيات بشكل عفوي تلقائي بسيط ومباشر. فالواقعية الساذجة تؤمن أولا:

- بوجود العالم الموضوعي الخارجي بغض النظر عن وجوده أو عدمه
- وأنه بإماكنه أن يدرك هذا العالم الخارجي، وأن إدراكه لهذا العالم الخارجي يتم بتلقائية وبساطة وعفوية
- وأن الحاسة الإنسانية البشرية (اللمس، السمع، البصر، الذوق، الشم) كلها نواقل معرفية تنقل للإنسان المعطيات الموجودة في الخارج وأغلب الناس لا يتوقف كثيرا في تلقي المعارف الخارجية (مثلا لما يرى أحد سيارة أمامه يتوقف ويسأل هل أن فعلا أرى أمامي سيارة؟ لا بد أن أحاكم هذه القضية ويستغرق في القضية؟ لا، يتلقى المسألة وينتهي الموضوع)

٢. الاتجاه الثاني: الواقعية النقدية وفكرتها باختصار أنها ترفض مدرسة الواقعية الساذجة، فهي تنطلق من رؤية أنه لا يمكننا أن نطمئن بشكل مباشر إلى تلقي العالم الخارجي عن طريق النواقل الحسية. صحيح أنها تنقل لنا العالم الخارجي لا يمكن أن نثق بمجرد نقلها، بل ينبغي أن نمارس فعلا نقديا على ما نستقبله من الحواس الخارجية؛ ولذا سموا بالواقعية النقدية. والذي يمارس فعل النقد للمادة العلمية المقدمة من قبل الحواس هو مادة العقل .فالعقل هو الذي يمارس فعل النقد لمثل هذه المدخلات الحسية.

فهم يقولون أن ما يتلقاه الإنسان حسا لابد من أن يمحصه من خلال الآلة النقدية، وبالتالي يدرك الإنسان من خلال هذه الرؤية أنه انتقل أصحاب هذه الرؤية من نظرية المعرفة المباشرة المتلقاة عن طريق الحس إلى نوع من أنواع الاستدلال للتحصيل المعرفي – يعني هو لا ينطلق مباشرة فيقول أمامي "طاولة" لا بد أن يتأكد ويطمئن ويستدل أن أمامه طاولة لا يكتفي بمجرد ما يفضي به الناقل الحسي كما يقال.

لنربط هذا الاتجاه الآن بالسؤال المركزي الأول وهو ما طبيعة المعرفة؟ عند أصحاب هذا الاتجاه فإن طبيعة المعرفة هي صورة ذهنية مطابقة للعالم الخارجي. ما طبيعة العلم؟ أنه يتخلق عند الإنسان صورة في ذهنه مطابقة للموجود في العالم الخارجي. ما الذي ينبني على هذا؟ أن الصورة المنطبعة في ذهنه عن العالم الخارجي هي صورة تابعة للعالم الخارجي. كيف تكون تابعة للعالم الخارجي؟ لأن العالم الخارجي هو الأصل وله القيمة الموضوعية وقصارى ما يقدمه الفعل العقلي وفعل الحواس أن يحاول أن يلتقط صورة من هذا العالم الخارجي.

فإذا كانت الصورة الذهنية منطبقة مع العالم الخارجي فيقال في هذه الحالة أنه حصل للإنسان المعرفة و حصل للإنسان العلم، هذا هو العلم والمعرفة باختصار عند أصحاب هذا الاتجاه وهو معبر عن بالذات المدرسة الأولى وجزء من المدرسة الثانية

و ممكن نعالجه بشكل أوضح هو ما تعبر عن الموقف الفطري إلى حد ما، والموقف العفوي التلقائي الذي يمارسه أكثر الناس في حياتهم ، وأكثر الناس لما تقول له العلم والمعرفة يقفز إلى ذهنه هذا الترابط الموجود بين الذات المُدرِكة والذات المُدرَكة

الاتجاه الثاني :الاتجاه البراغماتي أو الاتجاه العملي

المعرفة كما ذكرنا عند الواقعيين هو النظر في افكارنا ومدى مطابقة هذه الافكار للعالم الخارجي.هذه المدرسة الواقعية.

و المدرسة البراغماتية معيار المعرفة عندهم الذي هو يحدد ما يدخل في إطار المعرفة و ما يخرج منها، ما يحدده الذي هو الفائدة والثمرة السلوكية على هذا المحصل المعرفي.

ما هي الثمرة العملية ؟ ماهي الثمرة السلوكية المترتبة على المعرفة ؟

إذا كان ثمة ثمرة مترتبة على المعرفة فهي تدخل في إطار المعرفة وطبيعة الأثر السلوكي هو الحقيقة المعرفية، وإذا لم يكن يترتب على هذه المعرفة تحصيل فائدة سلوكية أو ثمرة معينة فلا يعد علما ولا يعد معرفة

حتى تتضح المسألة بشكل واضح مثلا لو أردنا مطابقة ومقارنة بين إضاءة الضوء الأحمر في إشارة المرور وطرحنا السؤال ما طبيعة المعرفة المتحصلة عند الانسان عند الواقعيين؟ فيقول الواقعيين أنه يتخلق في ذهني صورة لضوء أحمر مطابق لما أشاهده في الخارج من الضوء الاحمر "هذا الواقعيين"، أما البراغماتين يقولون لا، المعرفة في هذه الحالة قف , الضوء الأحمر "قف" ماهي الفائدة ماهي المعرفة ؟ المعرفة هي قف ليست مجرد إضاءة اللون الأحمر وهكذا تقيس.

طبعا تتولد في ضوء هذه النظرية أو الاتجاه البراغماتي إشكاليات معرفية متنوعة متعددة، فمن الإشكاليات العميقة والمشكلة الموجودة عندهم : "قضية إمكان أشبه باجتماع النقيضين" ، لنفترض جدلا أن اعتقادي بقضية ما يولد ثمرة معرفية معينة واعتقادك نقيضه يولد كذلك ثمرة معرفية عملية أو سلوكية معينة، فعند البراغماتين يقولون بالإمكان أن تعتقد هذا وتعتقد هذا لما يترتب عليه من أثر وسلوك – طبعا هذه أحد الإشكاليات وتوجد إشكاليات متعددة وكثيرة جدا–

مثلا الفكرة الصحيحة لا تكون صحيحة إلا اذا ترتب عليها أثر سلوكي عملي حتى لو كانت مطابقة للعالم الخارجي فلا تعد فكرة صحيحة تعد فكرة باطلة إذا ترتب عليها أثر سلوكي ضار وفاسد

بعض الاتجاهات وهذه قضية مهم إدراكها في بحث هذا الموضوع أو البحث الفلسفي، الوهلة الأولى يقف الإنسان خلال بعض الاتجاهات والمدارس في نوع من أنواع السذاجة والغباء بأنه طرح غريب وهكذا، لكن أحيانا إذا عرف الانسان بعض الخلفيات الفلسفية التي تقف خلفها يدرك أنهم ينطلقون من رؤية فلسفية معينة لا يلزم بالضرورة أن تكون صوابا لكن ليست بالغباء والسذاجة التي قد يتبناها الإنسان عند إدراكه مقولتهم في اللحظة الاولى .

لنشرّح هذا المثال حتى تتضح هذه القضية : الباعث الحقيقي للاتجاه البراغماتي لتبني هذه النظرية يقولون: المعرفة الانسانية البشرية إنما هو متولد من خلال مثلا ملكة الإدراك المتحصلة عند الانسان ، الإنسان خلق على هيئة بحيث بإمكانه أن يدرك الظواهر الخارجية. و من خلال إدراك العالم الخارجي يستطيع أن يدرك المعارف والعلوم. هذه القضية الأولى ، فأصحاب هذا الاتجاه هم من أصحاب الاتجاه الداروينيي التطوري فيقولون مثل ما الطبيعة طورتنا لنصل إلى هذه الحالة فكل الملكات الموجودة لدى الانسان إنما هي نشأت عن طريق التطور الداروني هذا المعطى الأول . لما يطرح سؤال لماذا يتنفس الإنسان ؟ يتنفس الانسان حتى يؤدي دورا بيولوجيا يستطيع الإنسان تفسيره في ضوء نظرية التطور. لماذا؟ لأن هي في النهاية تنفس الانسان، الدورة الدموية وإمكانية أن يبصر الإنسان, وإمكانية أن يشم الانسان هي قضايا لمصلحة الكائن الحي، لو لم تكن لمصلحة الكائن الحي لما استبقتها الطبيعة –هذا التصور الداروينيي– لما استبقتها الطبيعة وحافظت عليها ووجدت في الإنسان ، لو كانت قضية مثلا لا فائدة ولا ثمرة منها فماذا سيحصل في المسار التطوري الداروينيي؟ لن يتم انتخابها طبيعيا، ستستبعد من التسلسل الداروينيي، فيقولون ما الذي يجعل الإدراك كون الإنسان عنده مكنة لإدراك العالم الخارجي خارجا عن هذا السنن، وهذا القانون؟! إدراك الانسان نأخذ نموذج الإدراك العقل العقل في التصور الداروينيي هو منتج داروينيي , إذن لماذا طورت لنا الداروينية عقولا ؟ هنا سؤال فلسفي عميق ومشكل "في تصورهم "، هل الطبيعة عندما طورت عقولا التطور الداروينيي طورت لنا عقولا قادرة على التعرف على العالم الخارجي كما هو أم طورت لنا عقولا تستبقي حياتنا ؟حتى لو قدر أن هذا العقل من أجل استبقاء حياتنا سيقدم لنا صورة مشوهة عن العالم

فالفلسفة الداروينية مفترض تجيب على هذا السؤال بالجواب الثاني بأن العقل البشري هو نتيجة التطور الداروينيي، وإنما طورت الطبيعة هذه العقول من أجل أن يستصلح الإنسان ويستبقى وجوده. هذه هي القضية، ولا يوجد أي باعث فلسفي في ظل النظرية الداروينية تضمن لنا أن العقل البشري عنده المُكنة لإدراك العالم الخارجي.

وهذه قضية كانت تؤرق حتى "شارلز دارون" نفسه مؤسس نظرية دارون، يقول: "كل ما أفكر بنظرية الدارون أشعر بالقلق الشديد والتوتر من إمكانياتي العقلية، أنه ماذا يضمن الإنسان أن الصورة التي يدركها من العالم الخارجي هي صورة مطابقة فعلا لهذا العالم الخارجي" لاحظتم المأزق والإشكال !

في ضوء هذا التصور الفلسفي المتعلق بالداروينية فأصحاب الاتجاه البراغماتي النفعي مبرر مسيرهم في هذا المسار قالوا أن المعرفة المولدة من خلال مثلا أداة العقل أو أداة الإدراك الموجودة عند الإنسان إنما هي التي نستطيع الاستيقان منه والتحقق أنه شيء في مصلحة هذا الإنسان، أثر عملي سلوكي يترتب عليه مصلحة لهذا الإنسان, هذا قصارى ما نستطيع أن نجزم به مما يؤديه وظيفة الإدراك البشري الإنساني في ظل النظرية الدراوينية، أما أن العالم الخارجي يكون شيء مطابق للعقل .. هذه قضية لا يستطيع الإنسان أن يجزم بها من خلال التصور الداروني، وبالتالي مثلا فكرة الجاذبية الأرضية أو فكرة الجاذبية بشكل معين هي صادقة بمقدار النفعي العملي، إذا أدرك الإنسان الجاذبية سيدرك أن لها أثر في قضية سقوط الأشياء أو سقوطه هو، فبالتالي الأثر السلوكي هو المتعلق.

رائد الاتجاه هذا وهو أشهر ممثليه هو ممثل الفلسفة الأمريكية الحديثة "وليام جيمس"

الاتجاه الثالث والأخير: الاتجاه المثالي

هو مخالف للاتجاه الواقعي جذريا، هو الذي يقف على الصف المقابل كما يقال للاتجاه الواقعي , فالاتجاه الواقعي يؤمن بالتحقق الموضوعي للأشياء بغض النظر عن وجود الذوات المدركة يؤمن بوجودها استقلاليا وموضوعية، وبالتالي كما ذكرت من يؤمن بأن معرفة الإنسان وادراكه تبع للعالم الخارجي وليس العكس، أما الاتجاه المثالي يقلب المسألة رأسا على عقب , يؤمن بأن العالم الخارجي هو تبعا لمعرفتنا به، وكثير من الاتجاهات المثالية لا تؤمن بتحقق موضوعي للعالم الخارجي أصلا، يعني لا تؤمن بوجوده إنما وجد العالم الخارجي لوجود الذات المُدرِكة التي تدركه – يعني علاقة الذات المُدركة بالذات المدركة أن الذات المُدرِكة هي التي تولد الذات المدرَكة فهي ليست تبعا لها بل تولدها – ، ليس لها وجود حقيقي موضوعي على مقابل الرؤية الواقعية، هذه القضية المركزية.

- البواعث التي حملت أصحاب الاتجاه المثالي على ذكر هذا الكلام ومثل ما ذكرنا في الاتجاه البراغماتي تكتشف لعندما تعرف الخلفيات الثقافية تدري لماذا التزموا به , هم التزموا به في ظل مقدمة مسبقا ، والمقدمة المسبقة تقول "أن قصارى ما نتفاعل .." (هم يذكرون المعطى الآتي): نحن في الحقيقة عندما ندرك العالم الخارجي لا ندرك العالم الخارجي إنما ندرك تصور العالم الخارجي الموجود في أذهاننا– يعني هم يقولون التفاعل الحقيقي ليس ناشئا بيني وبين العالم الخارجي مثلا أمامي طاولة وأمامي كتب, لا أنا قصارى ما أتفاعل معه هو صورة هذه الأشياء في ذهني , فأنا ليس لدي جزم وإدراك لشيء يتجاوز ذاتي لكن قصارى التفاعل من أجل تحصيل الإدراك إنما هو ناشئ من داخل الذات نفسها، فأنا أتفاعل مع الأفكار الموجودة في رأسي، أنا لا أتفاعل مع العالم الخارجي أنا أتفاعل مع فكرة أن أمامي كتاب وحامل كتاب، لكني لا أتفاعل مع الكتاب مباشرة .

وبالتالي هنا حصل عندهم إشكالية فبعضهم يقول يعني المتطرفين منهم يقولون إن ليس ثمة تحقق موضوعي للعالم الخارجي أصلا، لا وجود أصلا، وإن قصارى الإدراك و المعرفة المتحصلة من طريق التفاعل داخل عالم الأفكار، ليس ثمة عالم في الخارج، إنما هو في عالم الأفكار وبعضهم الأقل حدة تطرفا يقولون ماذا؟ يقولون إنه لا يمكننا أن نعرف،

فمحتمل إنه في تحقق موضوعي للعالم الخارجي و محتمل أن لا يكون هناك تحقق موضوعي، لكن القدر الذي نجزم به – أي أن ما القدر الذي يجزم به أصحاب هذا الإتجاه يقولون أننا نحن نتفاعل مع عالم الأفكار الموجود في رؤوسنا.أنا هذا حدود معرفتي و إدراكي الذي هو ما يدور في عقلي أما وجود شيء خارجي لهذا الإطار فلا استطيع أن أتأكد منه أو أعرف وجوده من عدمه.

هناك أصحاب اتجاهات متعددة، وبعضهم قد يرى أن ثمة تحقق موضوعي موجود في الخارج لكن لا يستطيع التوصل إلى إدراكه ، لأن نحن ممنوعون من خلال يعني التفاعل مع عالم الأفكار الموجودة في رؤوسنا.

وبالتالي أحد الأشياء التي يترتب على هذه القضية أن كل انسان يخلق كما يقال عالمه الخاص وبالتالي تنتقل المعرفة في هذا الإطار من طبيعتها الموضوعية وأن إدراك الشيء على ما هو عليه إلى نوع من أنواع النسبية و الإضافية وأنه في النهاية كل إنسان له إدراكه الخاص للعالم الذي قد يباين فيه الآخرين.

طبعًا أحد الإيرادات التي وردت على أصحاب هذا الإتجاه المشهورة مثالا، نحن كلنا موجودين في المكتبة وكلنا الآن نرى أمامنا طاولة وأمامنا مجموعة كتب و نرى كتب صح وإلا لا ؟ (مكتبة الشيخ)كلنا قاعدين نتفاعل هذا التفاعل، طيب كيف يعني إذا كان كل واحد محكوم بعالم أفكاره فكيف قعدنا نتوافق هذا التوافق الكبير – قاصدًا أصحاب هذا الإتحاة– بالمناسبة يعني أشهر الممثلين لهذا الإتجاه اسمه (باركلي) أحد القساوسة النصارى المتدينين يقول لأن كلنا محكومين من خلال كما هو يقول من خلال عقل أعلى هو ينظم عملية التفاعل بين العقول الجزئية التفصيلية الموجودة، اللذي هو عقل الله تبارك وتعالى بحسب التعبير الذي استخدمه. طبعا هذه الفكرة يعني ذكرتها يمكن في مناسبة أخرى وذكرتها حتى في كتاب شموع النهار أنه تجد نوع من أنواع التطبيع يعني الثقافي والفكري من خلال الإعلام.

فمثلا من الأفلام الهوليوودية الشهيرة جدا فيلم (**The Matrix**)يعتبرون طبعا فيه أنماط من الأفلام الناجحة في المجتمع الغربي تعتبر ثلاثية – الجزء الأول والثاني والثالث – تستكمل الحبكة والقصة من خلال هذه الثلاثة. فكرة **The Matrix**)) باختصار وحتى يعرف الإنسان ويدرك من خلالها قضية كيف يروّج مثلا أحد المفاهيم الفلسفية داخل الإطار الإعلامي الفني، فيلم (**The Matrix**) بإختصار يدور حول أن الحضارة الإنسانية البشرية بلغت ذروةً استطاعوا (يخلّقون) يصنعون من خلالها رجال آليين لديهم ذكاء اصطناعي (**Artificial intelligence**) عندهم مكنة التفكير الذاتي المستقل عن المبرمج ، وبالتالي بعد فترة زمنية هذه أحد التنبؤات التي ذكرها ستيفن هوكنج– الفيزيائي المشهور جدًا– يقول :" لحظة ما يكتشف البشرية الذكاء الإصطناعي هي لحظة انقراض البشرية."

إنه بمجرد ما تكون الأدوات عندها ملَكة التفكير الذاتي المستقل هو يقول أنه سيتم من خلاله وهذه حبكة معروفة في مجموعة كبيرة من الأفلام الغربية الأمريكية أنه ينقرض البشرية وكذا– تسلطت الآلات و الأدوات وتسببت إما في انقراض البشرية وإما في حالة حرب بين الطرفين، طبعا الذي حصل في الفلم أنه نشأت حرب بين الطرفين، بين البشر وبين الآلات وفي أحد اللقطات الموجودة يعبر أحد أبطال الفلم يقول و محد يدري من اللي أطلق الصاروخ الأول؛هل هم البشر

الذين بدأوا العداوة؟ لكن الذي حصل في خضم الحرب كانت الآلات معتمدة في تحصيل طاقتها على الطاقة الشمسية فبسبب عبقرية الإنسان ماذا عمل؟ على أساس أن الإنسان يقدر على أن نقضي على الآلات، نحجب عنهم الشمس حتى لا يكون لهم مورد للطاقة وتتعطل تلقائيا، فعملوا بما يشبه الانفجار النووي العظيم ونجحوا بعمل ما يشبه سحابة سوداء غطت الكرة الأرضية، سحابة غطت الشمس، فالذي حصل للآلات بعد ذلك لما حُرموا الطاقة الشمسية أخذت تفتش عن مورد للطاقة غيرها فكان مورد الطاقة البديل هو ماذا؟ هو الإنسان.

باستخدام الطاقة الكهربائية الحرارية الموجودة في الإنسان يعني استخدام الإنسان بطريقة أشبه بالبطارية – نرى لقطات موجودة في الفلم أنه يتم موجود في مثل الحويصلات المعينة ويستنفذ منه الطاقة ويوضع هذا الإنسان في عالم مثالي – هنا القضية أنه يوهم أنه موجود داخل عالم على أساس يبقى ويعيش ويتفاعل مع عالم الأفكار في رأسه متوهما أنه يعيش في عالم حقيقي. تتمة الفلم إن بطل الفلم المركزي يتم استخراجه من العالم الإفتراضي إلى العالم الحقيقي ثم تبدأ حالة الصراع لاستنقاذ هذا الإنسان من هذا الحلم الطويل، في النهاية نوع من أنواع الحلم.

حتى مسلسل ثاني اسمه (**Awake**) أب عنده ابن و زوجة حدث لهم حادث سيارة وما الي يحدث بعد ذلك؟ الذي يحدث أنه كل يوم ينام ويصحى في أحد مشهدين – في عالم زوجته لم تمت و ابنه الذي مات، ثم إذا نام وصحى يصحى في عالم الزوجة ميتة والإبن حي .هو الآن عاجز عن معرفة العالم الحقيقي من عالم الحلم و عالم الإفتراض.

وهذه فكرة حاضرة للأسف حتى في الجدل الديني الإلحادي. أنا ذكرت في أحد المناسبات أن أحد الفيزيائيين (قريم براين) اسمه كان في نقاش مع دوكتر و عرض هذه القضية عرض قريم براين أنه ما المانع عقلا أنه نحن البشرية – أي البشرية تطورت و بلغت مستوى حضاري معين استطاعت أن تنشأ حواسيب معينة هذه الحواسيب عندها قدرة لتخليق كائنات افتراضية. المبرمج يبرمج يخلق كائنات افتراضية هذه الكائنات الإفتراضية موجودة داخل اللعبة عندها المقدرة على الوعي بذواتها، والوعي على ما حولها داخل البرنامج من غير أن تكون واعية أنها تكون في برنامج حاسوب موجودة في لعبة، وبالتالي هو يقدم السؤال ما المانع عقلا؟ يعني أحد الألعاب المشهورة في الفضاء الغربي اسمه(**SIM**) اختصار **Simulation** معناها محاكاة ولها سلسلة ونسخ متعددة مثلا (**Simulation city**، **Simulation**، **helicopter**)، (**Simulation airport**)، **Simulation ant**) الفكرة محاكاة عالم النمل عالم البشر عالم ال .... وكذا

بل حتى و العياذ بالله هناك (**Simulation god**) بحيث يصير اللاعب كأنه خالق أكوان و متابعتة أوضاع بشرية وكذا .فنفس الفكرة يطرحون أنه نفترض إن القدرات البشرية تطور هذه اللعبة إلى مستوى ماذا يحصل فيه؟ الذي يحصل أن الشخصيات التي تعيش في اللعبة، شخصيات عندها قدرة على التفكير الذاتي وإنه واعية بذواتها، واعية بما حولها، لكن ليست واعية كذا...

فبدأوا يتناقشون في المعطى هذا في ظل السفسطة وهذا أحد الإشكالات الكبيرة مالم يعول الإنسان على المعاملات الفطرية ومالم يلزم الإنسان من نفسه ضرورة يدفع من خلاله هذه الإستشكالات التي قد يولدها العقل البشري، وبالمناسبة في عبارة جميلة جدا لإبن تيمية رحمه الله في شرح الأصفهانية "واعلم أنه ما من: حق ودليل إلا ويمكن أن يرد عليه شُبه سوفسطائية؛ فإن السفسطة: (يعني شبه من قبيل المغالطات شبه استشكالات وتشكيكات) إما خيال فاسد، وإما مُعاندة للحق، وكلاهما = لا ضابط له؛ بل هو بحسب ما يخطر للنفوس من: الخيالات الفاسدة، والمعاندات الجاحدة." فالشاهد إن الذي يقوله ابن تيمية أن العقل البشري للإنسان عنده قدرة هائلة على توليد الأسئلة المغالطية والتشكيكات، فكيف يدفع الإنسان مثل هالأشياء؟ بالتحيز لمعاملات الفطرة، وهذه قضية مناقشتها تطول.

يهمنا الآن أن أحد المدارس الفلسفية الكبرى المتعلقة بتحديد ماهية المعرفة وطبيعتها الذي هو الاتجاه المثالي هو الذي يؤمن أصحابه بأن الإنسان هو الذي يخلق عالمه الخاص، وأن المعرفة مولدة داخل عالم الأفكار وليست نتيجة التفاعل مع العالم الخارجي ولذلك لما تسأل مباركي عزمي مثلا وهوجالس في غرفة هل أمامك طاولة ؟يقول نعم، لو طلع من الغرفة وسألته هل كان في الغرفة طاولة الآن؟ هل هناك طاولة؟ يقول لا أعرف ! لا أعرف هناك طاولة أو ليس هناك طاولة وبعض المدارس قد تغالي في هذه المسألة تقولك لا لما خرجت لم تكن هناك طاولة.

باختصار، أصحاب هذا الاتجاه يجعلون من المعرفة ووجود الماهيات الخارجية وجهان لعملة واحدة، حقيقة المعرفة هي حقيقة الوجود الخارجي ليست صورة للعالم الخارجي، لا، هو مطابق للعالم، وهو حقيقة للعالم الخارجي، وجود الشيء هو معرفته ومعرفته هو وجود.ه وهناك اتجاهات متعددة: اتجاه المثالية الذاتية المثالية الموضوعية المثالية المطلقة (لن نستغرق في تفاصيلها).

السؤال الثاني:-

ما مصادر المعرفة البشرية الإنسانية ؟

هناك اتجاهات كبرى تضبط هذه المسألة وهي إجمالا أربع اتجاهات مركزية.وتلاحظون للأسف لما عرضنا الأول والثاني تلاحظون غيبة الحضور الإسلامي؛ لأن طبيعة المؤلفات والكتب التي تعالج هذه القضية مغيبة لهذه القضية لحد بعيد جدا. نحاول في النقطة الأخيرة في موضوع المعرفة في الإسلام نقدم بعض الإضاءات المتعلقة ببعض الجوابات الاسلامية المتعلقة ببعض السؤلات المعمقة في إطار نظرية المعرفة

الإتجاه الأول وهو الإتجاه التجريبي أو الإتجاه الحسي هو حصر المعرفة البشرية الإنسانية في الخبرة الحسية عبر أداة الحواس إنما يحصل الإنسان من العالم الخارجي ، إنما يتحصل بأداة الحس.ليس للإنسان من سبيل لتحصيل المعرفي إلا عن طريق التجربة الحسية. ليس هناك أي قناة أخرى يستطيع الإنسان من خلاله أن يستوعب العالم الخارجي ترتب على هذا أن المعرفة عندهم هي معرفة بعدية يعني المعرفة إنما هي تالية و متأخره عن التجربة الحسية، لا يستطيع الإنسان أن يدرك شيئا قبل أن يتفاعل معه حسيًا. قبل ذلك لا يكون عند الإنسان أي مقوم أو معامل معرفي .

التزم أصحاب هذا التصور بأن التصور العقلي هو مجرد انعكاس للتفاعل مع الخارج، و تبنّوا في ضوء حصر المعرفة في الخبرة الحسية التنكر للمبادئ الفطرية الضرورية – يعني هم يقولون ليس للإنسان مورد معرفي إلا الحس، فلو قلت لهم هناك معارف أوليه قد يولد معها الإنسان يقولون لك لا، نحن نؤمن في ضوء تعبير جون لوك (فلنفترض إذن أن الذهن على حد قولنا صفحة بيضاء خالية من جميع الحروف بدون أية أفكار فكيف يحدث أن يملى على هذا؟ أجيب بكلمة واحدة من التجربة من ذلك تتأسس جميع معرفته و من ذلك تستمد ذاتها نهائيا) بالتالي صار موقفهم سلبيا من البدائه العقلية.

الان لو تسأل اصحاب التجربة الحسية كيف عرف الإنسان مبدأ السببية؟ يقال عرفوها من خلال التجربة الحسية أنه لاحظنا أنه شيء لم يكن ثم صار يقف خلفه سبب مثلا لو أخذت هذه العلبة ودفعتها وسقطت، ثم تسأل عن سبب سقوطها؟ لأنك دفعتها ... مثلا شعرت بالعطش فشربت ماء وارتويت، سبب الري شرب الماء وهكذ. الإشكال الذي يرد على بناء المقولات العقلية في ضوء هذا التصور أنه ممكن ينازع الإنسان في طبيعة المادة المستقرأة – يعني بمعنى مبدأ السببية تقولون كيف تؤمنون بمدأ السببية في ضوء التجربة الحسية. لو أعطيت هذه الفلسفة تقول له: هل استقرأت كل الحوادث وعرفت أن وراء كل أمر حادث سبب؟ سيقول لا أقدر ان أجزم في رقعة في هذا الكوكب أو رقعة من هذا الكون، إنه ينشأ حادث من لا شيء، وبالتالي بعضهم قد يلتزم بهذا المبدأ ويصبح مستعدا أن يتنكر حتى للمبادىء الحسية.

مثلا... رائد التشكيك في السببية (ديفيد هيوم) هو أحد رواد المدرسة الحسية لذا لما طرح إمكانية معرفة الله سبحانه وتعالى بالعقل وأن جون لوك مع تبنيه الرؤية الحسية أثبت وجود الله عز وجل الذي ذُكر في المادة في ملزمة العميري أن وقع في التناقض؛ لأنه جعل إمكانية معرفة الله عن طريق الحدس.جون لوك يؤمن بوجود الله عزوجل و هو مؤسس المدرسة الحسية ليحصر المعرفة الإنسانية البشرية في الحس وحده. لو طرح هالسؤال كيف تؤمن بوجود الله فلم تره أو تمسه أو لم يكن خاضعا لتجربتك الحسية؟ سيقول لك عن طريق الحدس. إذا كان عن طريق الحدس فمعنى ذلك أنه عندك مصدر معرفي خارج إطار الحس فوقع في التناقض وهكذا فأصحاب المذهب الحسي يحصرون المعرفة الإنسانية على عالم الحس فقط في عالم الحس.

الاتجاه الثاني: أو المدرسة الثانية هو الاتجاه العقلي الذين يقولون أن منبع المعرفة اليقينية هو العقل وحده ،إن العقل هو الذي يستطيع أن يولد المعرفة اليقينية فلا يمكن تحصيل المعرفة اليقينية الا عن طريق المعقولات فقط.

موقفكم من الحواس:

هم لا ينكرون أن الحاسة طريقة لتحصيل الإدراك لكنهم ينازعون في إمكانية تحصيل المعرفة اليقينية عن طريق الحواس لماذا؟ لأن يقولون أن الحواس نستطيع أن نغالطها ونشكك فيها، فيه ألاعيب تثبت لنا أن حواسنا قد تخادعنا ومن خدعني مره فلا ينبغي أن أنخدع له

توجد أنماط من أنماط التشكيكات مشهورة في الكتابة التراثية القديمة مثل :

أن الأحول يرى الشيء الواحد شيئين وأن الإنسان إذا رفع كفه للسماء يستطيع ان يغطي الشمس بكفه مع إدراكه أن كفه أصغر من الشمس ،) ما فيه مقياس بين كفه وبين الشمس ويدرك أن الشمس أكبر من يده (ومع ذلك يستطيع أن يغطيه ويقول أن هذه من مغالطات الحس، فيه تجارب الآن موجودة و أكثر عمقا في مغالطة الحس فلو دخل الانسان (قوقل) وكتب مثلا المخادعات البصرية سنلاحظ أنه يضع لك جسمين جنب بعض أو صورة لها لونين ويقول لك ما هو اللون فتقول أصفر فيزيل الصورة التي بجانبه فيتغير اللون أو يرسم خطوط فتلاحظ انه خط منحني وهو بحقيقة الامر مستقيم , أيهم أطول وأقصر فتقول هذا أطول وعند القياس بالمسطرة يتضح انهم مستقيمين فالشاهد إمكانية مخادعة الحواس حقيقة ،ومن الكتب اللطيفة المؤلفة عنوان الكتاب : (كيف يخدع البصر) وفيه دراسة لهذه الظاهرة دراسة مخادعة الحواس , فبنوا على هذه القضية طردوا المسألة فإذا البصر خدعنا مره فما ينبغي لنا الاطمئنان على الواردات الحسية فأغلقوا الباب هذا.

طيب كيف يتحصل الإنسان على المعرفة ؟

يتحصل الانسان على المعرفة عن طريق العقل ، فالعقل يستطيع أن يحصل المعرفة

ونشأ من هذا الاتجاه اعترافهم بالمبادئ العقلية الضرورية، بالبداهة العقلية، وبالتالي نشأ عندهم أن المعرفة البشرية الإنسانية إنما هي معرفة قبلية ليست معرفة بالضرورة، متفاعلة مع العالم عن طريق الحواس

يستطيع الإنسان أن يتحصل على المعارف قبل أن يتفاعل مع العالم الخارجي، فالمعرفة عندهم معارف قبلية وهذه المعارف القبلية معتمدة على المعارف الأولية الضرورية، يقول ديكارت وهو أحد أصحاب هذا الاتجاه " يلزم أن نضع موضع الشك المعروضات الخاصة للحواس بسبب غلط الحواس وأوهام الأحلام ، كل ما حسبته اليوم أشد الأشياء وثوقا قد تعلمته من الحواس ولكني تبينت بالتجربة أن الحواس تخدعني أحيانا وإذن فمن الحيطة ألا أعود إلى الثقة بالحواس" وله عبارات أخرى لكن الشاهد أن الاتجاه العقلي يحصرون مصدر المعرفة الإنسانية البشرية في العقل وحده، فيعترفون بالمبادئ العقلية الضرورية ويرتبون عليها المعرفة النظرية ويجعلون من المعرفة معرفة قبلية.

الاتجاه الثالث: هو الاتجاه النقدي

هو محاولة للجمع والتوفيق بين المعرفة المتلقاة عن طريق الحاسة والمعرفة المتلقاة عن طريق العقل فيؤمنون بكون الحواس وكون العقل لهم دور في التحصيل المعرفي , مصدر المعرفة هو عن طريق تفاعل يجري بين الحواس وبين العقل.

وأشهر أصحاب هذا الاتجاه "كانت"

"كانت" في نقد العقل الخالص يقول : ليس هناك شك في أن كل معرفتنا تبدأ بالخبرة هو يعترف بأن المعرفة متحصلة عن طريق الخبرة ولكن ليس معنى أن معارفنا تبدأ بالخبرة أنها جميعا تنبثق من الخبرة وذلك لأنه يمكن حقا أن تكون معارفنا التجريبية ذات تركيبة من ذلك الذي نستقبله عن طريق الانطباعات ومن ذلك الذي تقدمه ملكة المعرفة التي لدينا من ذاتها

يريد القول بأنه معترف أن الخبرة الحسية لها صلة وعلاقة وثيقة بقضية التحصيل المعرفي ولكن ليست بالضرورة هي وحدها منبع المعرفة، منبع المعرفة هو تفاعل هذا العالم "عالم الحواس " مع "عالم العقل" طبعا القضية المهم إدراكها وهذه القضية قد لا يتنبه لها الكثير من المهتمين بهذه القضية.

الاتجاه النقدي لما يتحدث عن المعرفة العقلية هو أصالة لا يتحدث عن فكرة المبادئ العقلية الضرورية وقضية توليد المعرفة النظرية عن طريق البناء عليها بما يشبه لنقول ان الجمع بين الاتجاهين ليس المقصود ان هو يعترف بمصدرية الحواس كمصدر لتلقي المعرفي ومصدرية العقل كمصدر لتلقي المعرفي هو يعترف بنوع من أنواع التفاعل بين الفضاءين ما طبيعة هذا التفاعل ؟ هو يتحدث ان صلة العقل في التفاعل الحسي عبر قوالب عقلية "كانت" يسميها مقولات ولكن لنعبرها قوالب، القوالب هذه ترتب فيها المتلقات الحسية الاشياء التي تلقاها الانسان من العالم الخارجي حسيا يرتبها في ظل قوالب، من القوالب المشهورة عنده قالب الزمان ، قالب المكان، قالب العِلّية، فهذه قوالب يبدأ يتلقى العالم الخارجي فيضعه في قالب عقلي هو قالب الزمان أو المكان.

نوضح المسألة بشكل أفضل : يأتي "كانت" بطرح سؤاله الثاني

إدراك الإنسان لحقيقة المكان هل هو ناشئ عن التجربة الحسية ولا هي معرفة متحصلة بشريا وانسانيا قبل التفاعل الحسي ؟

فيقول: لو كانت ناشئة عن طريق التفاعل الحسي مع العالم الخارجي بمعنى أن الطفل يدرك ماهية المكان وحقيقة المكان من خلال تفاعله مع العالم الخارجي فيدرك أن هذا الشيء أقرب إليه وهذا الشيء أبعد مني فمعنى ذلك الحد الفاصل بيني وبين هذاك مكانيا أوسع من هذا، يقول مجرد ما يقول العقل يفترض "هذا أقرب هذا أبعد " هو ينطلق من معرفة مسبقة، فهو يريد أن يقول إدراك الإنسان لماهية مفهوم الزمان ومفهوم المكان هي إدراك مسبق على التجربة الإنسانية فهي ليست ناشئة، هو لا يرى أن ثمة مجال أو طريق أن يتلقى الانسان هذه المعرفة "المقصود بماهية الزمان والمكان " من خلال تفاعله مع العالم الخارجي، لأنه مجرد ما تتوصل إلى ماهية المكان يقول حاول تستدل بالتجربة الحسية ؟ فتقول أن هذا الشيء أقرب وهذا الشيء أبعد فمعنى ذلك يستطيع الإنسان ان يضع هذا في مكانه وهذا في مكانه فبمجرد ما تقول أقرب أبعد، فأنت تنطلق من الرؤية المسبقة، لكن الإشكالية أن فكرة القوالب التي تعبأ بها التجربة الحسية حمل "كانت" على الفكرة الآتية: "أنه لا يلزم بالضرورة ان يكون للمكان والزمان ولفكرة العلية أو السببية وجود حقيقي موجود في العالم الخارجي"

يعني أن العقل البشري جُهز وهيأ على هيئة لإدراك العالم الخارجي من خلال صب هذه التجارب الحسية داخل القوالب الموجودة عنده لكن لا يعني بالضرورة ان هذا القالب العقلي الموجود عنده هو له تمثل حقيقي موجود في الخارج مثل الزمان والمكان ،يعني حتى يستوعب الإنسان العالم الخارجي يذهب ويصب الأحداث التي يستقبلها داخل قالب الزمان

يرتبها لكن ما يلزم بالضرورة أن هذه الأحداث مرتبة في الخارج ،هذه إحدى الالتزامات التي التزمها "كانت" ، لكن ما يهمنا في القضية أن مصدر المعرفة التي ولدها " كانت " هو الفكرة الآتية:

أن مصدر المعرفة البشرية الإنسانية المتحصلة عن طريق تفاعل الحواس مع العقل لكن العقل "وهنا القضية التي تحتاج نوع من أنواع الدراسة المعمقة" فهو يتحدث عن مقولات عقلية يتحدث عن قوالب عقلية معينة هذه القوالب العقلية تعبأ وترتب فيها الواردات الحسية.

الاتجاه الرابع :الاتجاه الحدْسي

يرون أن الحدس البشري الانساني هو الوسيلة الوحيدة لتحصيل المعرفة اليقينية

يعني أصحاب الاتجاه يعبر عنه ببعض الكتب بالاتجاه الصوفي أن المسألة عائدة إلى اعتبارات ذوقية، إلى اعتبار ذوقي، أحيانا لا يستطيع الإنسان أن يبين عن كيف تحصل على هذه المعرفة

هم يرون أن لا العقل ولا الحس ولا هما مجتمعين معا مما يتوصل به الانسان إلى المعرفة اليقينية بشيء من الأشياء، يعني لو أوكل الإنسان إلى تحصيل المعرفة عن طريق العقل أو الحس أو حتى عن طريق العقل والحس معا فلن يستطيع أن يحصل من خلاله معرفة يقينية.

طيب هل تعترفون بإمكانية تحصيل المعرفة اليقينية ؟

يقولون نعم ممكن

عن طريق ماذا؟ عن طريق الحدس

الحدس : معنى ينقدح في الذهن , معنى ليس خاضع لقانون الاستدلال , معنى يجده الانسان هكذا في نفسه من غير نظر أو استدلال عقلي يحصل من خلاله الانسان على المعرفة، يقول "هنري برجسون" : وهو أحد رواد هذا الاتجاه يعرف الحدس: بـــ عرفان من نوع خاص شبيه بعرفان الغريزة ينقلنا إلى باطن الشيء.

أصحاب هذا الاتجاه اتفقوا على فكرتين أساسيتين :

الفكرة الأولى : أن الحقيقة التي تدرك الانسان بحدسه لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ

وبالتالي أحد الاشكاليات التي تولدت عنها أنه ليست ثمة امكانية لإقامة الدليل للآخر، لأنه هي معرفة يقينيه متحصل عليها من خلال الحدس لكن لا أستطيع الإبانة عن هذا الحدس من خلال التعبيرات اللفظية وأن حقيقة الكون كاملة وراء ظواهر مختلفة عنها.

أحد الاشياء التي قالها "كانت" من صاحب الاتجاه النقدي – ويمكن ذكرته عرضا – أنه يقول أن الإنسان يدرك ظواهر الاشياء ولا يدرك الاشياء في ذواتها، فرق بين مقام الشيء في ذاته وإدراكنا للشيء، فيقول قصارى ما نستطيع أن نعرفه هو ظاهر الشيء بالنسبة إلينا لكن ماهية الشيء وحقيقته في حد ذاته لا نستطيع التوصل إليه ..

أصحاب المدرسة الحدسية يقولون من خلال الحدس يستطيع أن يصل الانسان، أن يخترق الظاهرة إلى معرفة ماهية وحقيقة الشيء هذه أحد الاشياء التي انبنت عليه.

هذا الاتجاه يمثل نوع من أنواع التطرف في موضوع الموقف من قضية الحدس لكن حتى نخلق نوع من أنواع التوازن النسبي فيما يتعلق بالحدس

أحد الكتابات الطريفة التي أطلعت عليها كتاب اسمه "بلينك" ومعناها اشبه برمشة العين الكتاب لمؤلف اسمه "مالكوم جلادويل" وبالمناسبة المؤلف له كتابات مثيرة ومهمة وجميلة لديه كتاب اسمه "المتميزون وكتاب نقطة التحول"

فكرة الكتاب بإختصار :

العنوان الفرعي اسمه قوة التفكير من غير تفكير

قلت لكم بعض الدراسات الحديثة أنها تخدم في الاطلاع على ما يتعلق بنظرية المعرفة يعني أحد الكتب التي كنت مستحضرها في ذهني مثل هذا الكتاب، وبالمناسبة فيه أيضا كتاب ثاني اسمه التفكير بسرعة والتفكير ببطء "لدانيال كاهنمان" وهو كتاب مترجم، وكلا الكتابين فيهما بعض القضايا المتعلقة بنظرية المعرفة وهي مفيدة لكن كتاب بلينك الفكرة الرئيسية التي يدور عنها الكتاب فكرتين وقضيتين أساسيتين.

القضية الأولى : ما عبر عنه بفكرة الحدس "المعرفة الحدسية"

محاولة دراسة القضايا المتحصلة للإنسان عن طريق الحدس.

القضية الثانية : القرارات الفجائية

أحيانا الإنسان يتخذ قرار بشكل مفاجئ وسريع وفيه ارتباط بين قضية الحدس واتخاذ قرارات بناءا على المعطيات الحدسية.

أول فصل موجود بالكتاب كان عنوانه التمثال الذي لم يكن يبدو بشكل صحيح، فكرة الفصل اتى بقصة عجيبة لأحد المتاحف الموجودة في أمريكا انهم كانوا يريدون شراء تمثال أثري من أحد باعة الاثار وحتى يطمئنوا الى صحة هذا التمثال ومصداقيته أنه فعلا تمثال أثري ليس مزيف أو حديث أجروا عليه مختلف أنواع التجارب المتصور والغير متصور لمدة ١٨ شهر تقريبا وخرجوا بنتيجة بعد إجراء التجارب العلمية على هذا التمثال انه فعلا تمثال اثري عمره يمتد أكثر من ثلاثة الاف سنه وكانوا فرحين جدا بالتمثال لأن له إخوة كما يقال تماثل كُثر لكن هو التمثال المحافظ عليه بشكل متكامل البقية أجزاء , قبل يوم الافتتاح اتوا بأحد الخبراء المختصين في أنواع التماثيل تلك فكشفوا له عن ستار هذا التمثال فأول عبارة نطق بها الخبير " فرش " بمعنى انه حديث جدا , لم يكن يتوقعوا ردة الفعل وسألوه ماهي القصة قال لا هذا المعنى الذي انقدح ، خرج معي لماذا قلته لا اعلم ماهي البراهين والادلة لا أعرف

عرضوه على خبيرة ثانية قالت لا تدفعون مال وإذا دفعتم استردوا أموالكم بمعنى بأنه مزيف

لماذا مزيف ؟ قالت لا أعلم أخذوه أيضا إلى مختصين في روما وكلهم اتفقت كلمتهم على أن التمثال مزيف وحديث ، الشاهد في الموضوع أن المتحف قام بمزيد من التحقيقات للموضوع واكتشفوا فعلا ان التمثال مزيف.

في التراث الاسلامي توجد نماذج مقاربة جدا للفكرة هذه مثلاً علماء الحديث علماء" العلل" على سبيل المثال يقولون أن علمنا عند من يجهله كـــهان "عبدالرحمن مهدي.

عبدالرحمن مهدي بعض الأحاديث يقول ما أستطيع إقامة لماذا أفهمك، ولكن آية ذلك عندي، تريد الدليل المؤكد على ذلك اسألني عني الحديث واسأل فلان وفلان من أئمة الحديث كلنا ستتفق كلمتنا على هذا الحديث ويشبهون هذه الصنعة الحديثية بصنعة الصيرفي[1]

الشاهد من ذكر هذا الحدس يحتاج فعلاً الى معالجة معمقة، والكتاب يحاول أن يقدم دراسة، وأزعم أن الدراسة فيها أشياء مفيدة جدًا ، أنه كيف يُكوَن هذا المعامل الحدسي عند الإنسان، وما الموقف الذي ينبغي أن نتخذه من المعرفة الحدسية وغيرها.

طبعًا المدرسة حين نتكلم عنها فلسفيًا – الاتجاه الحدسي– هي تمثل مدرسة متطرفة في هذه القضية، فحين تلغي العقل والمعرفة الحسية وتحصرها و و و ، فهذا اتجاه واضح مبالغ فيه، لكن الفكرة: لا ينبغي أن يخلق تطرف هذه المدرسة تطرفًا مضادًا بحيث يقال: فكرة الحدس ينبغي أن ترمى في القمامة !

لا أنا أزعم أن المسألة فعلًا تحتاج إلى نوع من أنواع الدراسة أكثر، والكتاب مليء بالدراسات وبعض الدراسات غريبة، مثلًا من الدراسات العجيبة الموجودة –وسأذكرها بمعناها إجمالًا– أجروا تجربة على مجموعة طلاب يأتون بشاشة تلفاز، ويوجد مدرس يشرح للفصل، والصوت مغلق تمامًا لا يرون إلا حركات المدرس، فمثلُا افترض جدلًا أن تعرض ١٠ دقائق، أمام الطلاب ثم تأخذ انطباعاتهم عن المدرس هذا– جودةً وعدم جودة وتواصل مع الطلاب وكذا– ؛ فكلهم يعطون تقييم معين ، ثم الذي يحصل بعدذلك أن قلّت المدة ، من ١٠ دقائق إلى ٥ دقائق لمجموعة ثانية، ورأوا النتائج فوجدوا أن نتائج الخمس دقائق مطابقة لنتائج العشر دقائق، فطول المدة لم يؤثر كثيرًا في تغيير الانطباعات الموجودة عند الشريحة الأكبر.

قَلَّت الخمس دقائق إلى دقيقة، فظلت الانطباعات كالانطباعات، ثم قلت حتى وصلوا إلى ١٠ ثواني، فظلت الانطباعات نفس الانطباعات، الأعجب من هذا أنه يوجد طلاب أخذوا فصل دراسة مع هذا المدرس لمدة ستة أشهر، فكانت انطباعاتهم متطابقة مع من أخذوا مع ٢٠ دقيقة، فلاحظ الآن قضية المعرفة وما الذي يحصل، فحاول هذا الكتاب أن يدرس هذه المسألة بشكل لطيف، والكتاب مترجم حديثًا .

السؤال الثالث المتعلق بنظرية المعرفة: إمكان المعرفة وحدودها

هل بإمكان الإنسان أن يتوصل إلى المعرفة اليقينية القطعية، أم أنه ليس في مكنته الوصول إليها؟ إذا كان بالإمكان تحصيل هذه المعرفة، فما حدود ما يمكن للإنسان أن يتعرف عليه من العالم الخارجي ؟

يوجد اتجاهان أساسيان:

الاتجاه الأول: الاتجاه الشكّي

[1] من تكون لديه خبرة كبيرة جدًا في موضوع العملة النقدية، بحيث تجده يضعها في فمه ويعض عليها، ليخبرك هل هي عملة مزيفة أو لا .

الاتجاه الثاني: الاتجاه اليقيني

أما الاتجاه الشكي: ففكرته بالاختصار: إنكار إمكانية المعرفة اليقينية، بمعنى آخر: هذا الاتجاه ينكر القيمة الموضوعية للمعرفة، بمعنى أنه ليس ثمة معرفة يقينية يمكننا جميعًا أن نتوصل إلى إدراكها.

- **وهم لا ينكرون أن الإنسان قد يستيقن بقضية معينة، لكن هل ما تستيقن بمعرفته في نفس الأمر هو أمر قطعي يقني؟ بحيث لا يعرض على إنسان آخر إلا جزم بما جزمت به، أم أنها تجربة إنسانية ذاتية ؟ فأصحاب هذا الاتجاه يؤمنون بالثاني لا بالأول.**

أكبر تمثل تاريخي شهير لهذا الاتجاه: السفسطائية

ومعنى السفسطائية: الحكمة المموهة، ويعبر عنهم بالشُكاك ، وهم الذين ينكرون إمكان تحصيل المعرفة عن طريق العقل أو الحس، وبتقدير الإمكان يستحيل نقل المعرفة، وهم أصحاب اتجاهات، فمعروف أن السفسطائية منهم السفسطائية اللا أدرية، والسفسطائية العندية، والسفسطائية العنادية.

- **أما اللاأدرية ففكرتها باختصار: عندما تطرح عليه قضية من القضايا، –هل ثمة كتاب أمامك؟ – فيقول أنا لا أعرف هل ثمة كتاب أمامي؟ لا أدري ، ولا أدري هل ليس ثمة كتاب أمامي! فكل قضية تعرض عليه يتساوى موقفه من الطرفين : "لا أدري كذا، ولا أدري كذا " ، فهذا النوع الأول .**
- **والعندية فكرتها باختصار: عندما تعرض عليه القضية– – تقول أمامي كتاب–، يقول: نعم، هذا الكتاب أمامك في تصورك عندك، لكن لا يلزم أن يكون كذلك عندي! وبالتالي يحيلون المعرفة إلى مجرد تجربة إنسانية ذاتية نسبية إضافية، وأن المعرفة تتعدد بتعدد الذوات البشرية الإنسانية، فالعندية يرون أن كل إنسان عنده معرفته الخاصة.**
- **العنادية : هو الذي يقيم فعل التشكيك والمعارضة والعناد مع أي قضية تورد عليه، فإذا قلت أبيض، قال لا بل أسود، وإذا قلت أسود، قال لا بل أبيض! فعنده مقدرة على المحاجة والجدل والمدافعة عن موقفه العنادي لموقفك.**

يقول بيرون– وهو أحد الشخصيات المهمة– : " يجب ألا نثق في الحس ولا في العقل ،وأن نبقى من غير رأي، ويجب أن ننفي ونثبت معًا، أو لا ننفي ولا نثبت " وهو أحد الشخصيات المشهورة جدًا في الاتجاه السفسطائي.

والاتجاه السفسطائي هو أحد الاتجاهات التي نشأت في أثينا في الفلسفة الرومانية، وكردة فعل منها نشأ تاليًا: سُقراط كان له مناظرات ومجادلات معهم، ثم جاء أفلاطون، ثم أرسطو ، وأرسطو لما وضع علم المنطق كان غرضه الأساسي: وضع آلة لإقامة المعرفة القطعية اليقينية، وعدم الوقع في فخ الإشكاليات السفسطائية، فهي أحد الأدوات المنافرة التي أفرزها الجدل السفسطائي.

وأحد الملحوظات الطريفة: أن أحد الإشكاليات المتعلقة بالسفسطائية: أن قصارى وغالب معرفتنا بالاتجاه السفسطائي إنما نشأ من خلال ما كتب عن السفسطائية لا من خلال المقولات السفسطائية ذواتهم، بالتالي الدكنور الطيب أبو عزة له سلسلة كتب عن الفلسفة، فالجزء الأول الذي كان عنوانه: مفهوم الفلسفة و سؤال النشأة، أو دلالة الفلسفة وسؤال النشأة، كان يبحث في مفهوم الفلسفة – ماهيتها وحقيقتها في نصف الكتاب– ، والثاني سؤال النشأة: الذي هو قضية مركزية الحضارة الغربية في نشر الفعل الفلسفي، و الفلسفة الإغريقية واليونانية إنما هي حلقة في مسلسل الإنسانية البشرية في الفعل الفلسفي، الشاهد: أن من الأشياء التي طرحها الدكتور عزة هي قضية التشكيك في كثير مما نُسب إلى السفسطائية، وأن فيه نمط من أنماط المجادلة والتشكيك وكذا، والتي تحتاج إلى نوع من البرهنة والتدليل تأريخيًا على وجود مثل هذه المقولات،و إن كان مجال البحث فيه أكثر بالضرورة من التشكيك المطلق بكل ما نسب إلى الفلسفة.

أصحاب هذا الاتجاه الشكي ينقسمون إلى مدرستين أو اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: الشك المذهبي

الاتجاه الثاني: الشك المنهجي

١–أما الشك المذهبي فهي رؤية تنطلق بالشك ابتداءً به، لتنتهي إلى الشك ذاته . يعني أن مبتدأ وانطلاق تحصيل المعرفة هو الشك ، لينتهوا في نهية المضمار إلى الشك ، وبالتالي أصحاب هذا الاتجاه يؤمنون بعدم إمكانية تحصيل معرفة قطعية يقينية، وأن قصارى ما عندنا (إن نظن إلا ظنًا وما نحن بمستيقنين)؛ لأنهم يبتدؤون بفعل الشك، لينتهوا إلى الشك ذاته.

في التاريخ الإسلامي في كتب الأدب وفي كتب العقائد وغيرها، تمثلات وقصص طريفة معبرة عن أصحاب هذا الاتجاه وكيف تسربت المقولات السفسطائية داخل الوسط العربي الإسلامي.

- يقول مثلًا أبو القاسم البلخي[٢]: " أن رجلًا من السفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين، فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته [٣] ، فلما خرج لم يرها، فرجع إلى المتكلم وقال: سُرقت دابتي، فقال: ويحك! لعلك لم تأتِ راكبًا ، قال: بلى ، قال: فكر! ، قال هذا أمر أتيقنه ، فجعل يقول له تذكر ، فقال: ويحك ويحك ما هذا موضع تذكُّر ، أنا لا أشك أنني جئتُ راكبًا, قال: فكيف تدعي أنه لا حقيقة لشيء وأن حال اليقظان كحال النائم؟! ، فوجم السفسطائي ورجع عن مذهبه " .

[2] وهو أحد المعتزلة في فترتهم، وهم كانوا أحد كبار المجادلين للمسفسطين في الدائرة الإسلامية .

[3] كان السفسطائي يتناظر مع المتكلم فكان المتكلم من حيث لا يعرف الطرف المقابل من هو، أمر أحد الحضور أن يأخذ دابته ويخفيها.

فهذه القصة والقصص التالية كلها تقوم على فكرة رد الطرف المقابل إلى المعامل الفطري ، لاحِظ الأداة التي استخدمها ليست محاججة عقلية يحاول أن يقيم عليها الدلائل، والسبر والتقسيم ... إلخ ، بل حاول الضغط عليه لاستخراج المكون الفطري، فلما استُخرج المكون الفطري ولاحظ الموضوع رجع .

- عن محمد بن عيسى النظام قال: " مات ابن لصالح بن عبدالقدوس، فمضى إليه أبو الهذيل– أبو الهذيل علّاف– ومعه النظام، وهو غلام حدث كالمتوجع له، فقال له أبو لهذيل: لا أعرف لجزعك وجهًا إذا كان الناس عندك كالزرع ! [4] ، فقال له صالح: يا أبا الهذيل إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ،فقال له أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك ؟ قال: هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان، فقال له النظام: فشك أنت في موت ابنك واعمل على أنه لم يمت، وإن كان قد مات فشك أيضًا في أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم يقرأه "
- وأطرف من هاتين القصتين: رجل من الحسبانية [5] دخل على المأمون، فقال المأمون لثمامة بن الأشرث[6]: كلّمه ناظره ، فقال له: ما تقول وما مذهبك ؟ فقال: أقول إن الأشياء كلها على التوهم والحسبان، وإنما يدرك منها الناس على قدر عقولهم ولا حتى في الحقيقة [7]، فقام إليه ثمامة فلطمه لطمة سوّدت وجهه :) ، فقال – المضروب–: يا أمير المؤمنين، يُفعل بي مثل هذا في مجلسك ؟ فقال له ثمامة: وما فعلتُ بك ؟ قال: لطمتني! فقال: ولعل إنما دهنتك بالماء؟ [8]؟ ثم أنشأ ثمامة يقول:

ولعلّ آدم أمنا والأب حوا في الحساب
ولعل ما أبصرت من بيض الطيور هو الغرا ب
وعساك حين قعدت قمت وحين جئت هو الذهاب
وعسى البنفسج زئبقًا وعسى البهار هو السذاب
وعساك تأكل من خرا ك وأنت تحسبه الكباب

فهنا جزء من الإشكالية الكبيرة فبعض الشباب الذي تأثر بالخطابات الإلحادية والتشكيك والسفسطة ويتبنى مقولات غريبة عجيبة، فأنا أعبر بصراحة ليس عندي مانع أن يتبنى رؤية إذا تبناها، لكن من الضروري أن يطرد هذه القناعة، فما المعنى أننا عندما نأتي ونناقش في وجود الله عز وجل يمارس معنا هذه الأدوات الجدية

---

[4] أي لا أفهم حزنك على ابنك بهذا الشكل ، إذا كان هناك إمكانية للناس أن يكونوا زرعًا أو شيئًا آخر، فلماذا الحزن؟!

[5] أحسب، أظن – سفسطائي– .

[6] أحد رؤوس المعتزلة

[7] بمعنى أنه ليس ثمة حقيقة موضوعية موجودة مستقلة بذاتها.

[8] أي كيف عرفتَ أني لطمتك؟ لعلي طيبتك مثلًا ^^

السفسطائية، ثم إذا انفضينا من هذا المجلس ودخلنا في شأن المعيشة والحياة لا يقبل على نفسه أن يمارس ذات الأدوات فيما يتعلق بحياته ومعيشته !

ففي القصة السابقة هذا الإنسان يريد جدل ونقاش علمي ويستخدم أدواته، فلما لطمه لطمة لم يطرد أصله وقاعدته، بل من الواضح أنه انسحب من الموضوع ؛ لأن الإنسان يجد فطرية ضرورية أن الإنسان لا يستطيع أن يلتزم بهذا المذهب وأن يطرده بهذا الشكل.

ب- الشك المنهجي باختصار: هو يتخذ من قضية الشك وسيلة للتحصيل المعرفي، وليس غاية من المعرفة، بمعنى آخر: يبتدئ طريقه بالشك لينتهي إلى اليقين.

فأصحاب هذا الاتجاه عمليًّا إدخالهم في الاتجاه الشكي هو من باب مُبتَدأ الطريق لا منتهاه. يعني حقيقة الاتجاه الشكي يجعل من المعرفة أمرًا مظنونًا شكيًا ولا يستطيع الوصول إلى المعرفة اليقينية ، وأصحاب اتجاه الشك المنهجي عمليًا هم ينتهون إلى يقينية المعرفة، فهم يقولون بالإمكان تحصيل معرفة يقينية ، لكن لا يمكن تحصيل المعرفة اليقينية إلا عبر بوابة الشك.

وأحد الشخصيات الكبرى في التراث الإسلامي التي نُسب إليها الشك المنهجي [9] ، ولكن الشخصية الشهيرة التي ينسَب إليها الشك المنهجي "ديكارت"

---

[9] وهذه أحد المعلومات التي ذكرتها حين قدمت هذه المادة وكانت موجودة في اليوتيوب، وعنوانها مدخل لفهم نظرية المعرفة –سابقًا-، وذكرتُ هذا المعنى منسوبًا إلى هذه الشخصية (أبو حامد الغزالي) ، وهي فكرة شهيرة جدًا وذائعة داخل إطار المتحدثين في نظرية المعرفة، ثم لّما كنت أعاود النظر في هذه القضية وجدت أن حسبة أبو حامد الغزالي على اتجاه الشك المنهجي ليس دقيقًا علميًا، وهذا الذي يظهر لي والله أعلم

والقصة وما فيها أن الكل استقرأ هذه الفكرة من كتاب المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي، لأنه هو فعلًا مارس هذا الدور الشكي ، وكتاب المنقذ من الضلال هو من السيَر الفكرية الجميلة جدًا التي أنصح بمطالعتها للقراءة، وكتب أبي حامد الغزلي تمثل متعة عقلية إجمالًا، وإن كان محسوبًا على الحالة الأشعرية لكن كتبه كتب عظيمة وجليلة ، والمقابل الموضوعي عند المدرسة الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية عندنا هو أبو حامد الغزالي، فلو قيل ما أهم شخصيتين في التراث الإسلامي؟ فعلى البديهة الذي يقع في نفسي: أبو حامد الغزالي، وابن تيمية رحمهما الله ، فكلا الرجلين عمالقة، وابن تيمية جزء من مادته العلمية مستفادة بحد لابأس به من الأطروحات التي قدمها أبو حامد الغزالي، وأبو حامد الغزالي لا يبلع –كما يقال- شيئًا إلا يعيد ترتيبه في ذهن إبداعاته الذاتية، مثل ما كتبه في علم المنطق : معيار العلم، والقسطاس المستقيم ومحك النظر، تجد أن فيه نوع من أنواع توليد الترتيب والمعاني وأشياء مضافة على هذا، حتى في الدائرة الكلامية يخالف بعض الأشعرية فيوافق الحق وقد يخالفه، لكن الشاهد: ما حصل في كتاب المنقذ من الضلال: ما فعله أبو حامد هو أنه يقول أريد أن أتحصل على المعرفة القطعية اليقينية، ويعبر عن هذه الفكرة بصراحة، فقلتُ أن أول مورد خارجي أتعرف عليه من خلاله: المعرفة الحسية، ثم بدأ يقول بإمكانية الإنسان أن يشكك في الحواس، فينبغي علي أن أشك في المحسوسات فأطرح المحسوسات، يقول: أنا كنتُ مستيقنًا بأن الواردات الحسية التي ترد علي يقينية، ثم اكتشفتُ أن بالإمكان التشكيك فيها، فما الذي يمنع عقلًا أن تكون الواردات العقلية التي ترد علي – سواءً المقدمات العقلية الضرورية أو غيرها- أنه لا يوجد شيء قد أتعلمه في مستقبل الأيام قد يشكك فيها ؟ فاطرحت المعرفة اليقينية العقلية ، فلما طرحت المعرفة اليقينية المتحصلة من طريق الحس ، واليقينية المتحصلة عن طريق العقل، وقعتُ في حيرة كيف أستطيع أن أبني منظومة معرفية ، فصرتُ سفسطائيًا بلسان الحال لا بلسان المقال لمدة شهر أو شهرين، ثم أنقذني الله بالنور الذي قذفه في قلبي ، فعادت النفس إلى الاتزان وعادت المعرفة العقلية والحسية إلى يقينيتها وضروريتها ، وبدأ يستطيع بناء المعرفة . فالقضية وما فيها إذا لم يبتدئ الإنسان نقطة الانطلاق لتحصيل المعرفة البشرية الإنسانية من الاعتراف بوجود معارف أولية بدهية قطعية فلا يستطيع الإنسان أن يبني منظومة معرفية حقيقية؛ لأنه في النهاية مثل الطفل لما تعرض قضية وتسألني : ما الدليل على هذه القضية؟ فأقول لك الدليل على هذه القضية هذه القضية ، أما الطفل فعادة يقول: لماذا؟ فأقول لأنه كذا, ثم يقول لماذا؟ وأجيب: لأنه كذا, ثم يقول: لماذا؟ فأجيب: لأن كذا .. فإذا استمر الإنسان بالإجابات (لأن كذا ، لأن كذا ... إلخ) في النهاية لابد أن تنتهي السلسلة إلى نقطة يبتدي فيها الطريق، التي هي البداية، ونحن نزعم أن البداية هي بداية المعقولات الفطرية البدهية، فإذا لم يلتزم الإنسان بهذا لم

ومشهور في التاريخ أن ديكارت هذا انتفع كثيرًا من أبو حامد الغزلي وقيل أنه إنما أخذ هذه الفكرة من أبو حامد الغزالي– محتمل أنه فعلًا انتفع من أبو حامد من كتاب المنقذ من الضلال– لكن ديكارت حاول أن يؤسس للمعقولات الفطرية بأن يبرهن ويدلل للنقطة الأولى ، والعبارة المشهورة جدًا التي ساقها : "أنا أفكر إذاً أنا موجود " ، محاولة لوضع القاعدة اللتي يؤسس عليها البناء المعرفي، ومن وجهة نظري أن فيه جدلًا واسعًا بشأن عبارة " أنا أفكر إذاً أنا موجود" أنه لا يخدم الإنسان كثيرًا في بناء منظومة معرفية فلسفية في هذه القضية.

والمسألة التي تهمنا في قضية الشك : ما هو الموقف الشرعي من الشك المنهجي؟

الموقف الشرعي هو أن الشك المنهجي ليس مبدأً علميًا ممهدًا للمعرفة البشرية الإنسانية . لماذا؟

القضية وما فيها أنه ضروري جدًا أن يكون مبتدأ الإنسان في التوصل المعرفي الانطلاق من المعارف الفطرية الأولية، وبالتالي حزمة المعارف الفطرية الضرورية ليست مجالًا وموضعًا للتشكيك، وإذا دخلها التشكيك ستنهار المنظومة المعرفية ولن يستطيع الإنسان أن يبني منظومته المعرفية.

وبالتالي إذا قال الإنسان : هل الشك المنهجي هو طريق للتحصيل المعرفي ؟

نقول له: لابد أن تفصّل، إذا قصدت أن يصل التشكيك المنهجي حتى مع المبادئ الفطرية الأولية؛ فنقول: لا ، لا ينبغي تعريض المبادئ الفطرية الأولية للتشكيك، ومتى ما وقع الإنسان في التشكيك فيها فلن يستطيع أن يحصل معرفة، أما ما وراء ذلك من المعارف النظرية هل يشرع للإنسان أن يشكك فيها؟ فيقال أن سبيل التحصيل اليقيني في المعارف النظرية هو عن طريق بوابة التشكيك ، فالإنسان ينبغي أن يكون عنده قدر من التحيُّد فيما يتعلق بالمعلومات النظرية؛ لأنه محتمل أن تكون صحيحة ومحتمل أن تكون باطلة، ومن خلال البحث والنظر يستطيع أن يتوصل الإنسان إلى المعرفة اليقينية المتعلقة بها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : " الأمر النظري مستلزم للشك قبل العلم لا سيما إذا كانت طرقه خفية طويلة فمن لم يعرف تلك الطريق يشك فيه"

هل يمكن أن يقع الإنسان في ورطة الشك المنهجي في الفضاءين –المعلومات الضرورية والمعلومات النظرية– ؟ هل يمكن أن يشكك بالمبادئ الفطرية الضرورية؟ الواقع يشهد بذلك، أنه يمكن للإنسان أن يشكك فيها.

يستطع أن يبني منظومة معرفية.. الذي حصل من أبو حامد أنه لّما شكك في هذه المقدمة لم يستطع أن يوجِد قاعدة يؤسس عليها، فكيف استُنقذ من هذه الحالة؟ أن الله عز وجل هو الذي استنقذه منها برده إلى المعقولات الفطرية الأولوية والاعتراف بفطرية تلك المعقولات.

السؤال الذي يطرح نفسه: في ظل تجربة أبو حامد الغزالي – الذي نُسب إليه أنه أحد رواد الشك المنهجي– : هل أبو حامد الغزالي يدعو غيره إلى المضي في الطريق الذي مضى فيه؟ بمعنى هل فائدة القصة التي يقولها أبو حامد: حتى تتحصل المعرفة اليقينية ينبغي أن تشك أولًا، فإذا شككت أولًا ستصل إلى اليقين؟ أم أن التجربة التي خاضها قد تفضي بالإنسان إلى السفسطة وعدم الاستنقاذ ، يعني أنه من رحمة الله عز وجل بأبي حامد أنه استقذ من هذه الحالة، لكن ما هي الضمانة التي تضمن لغيره أن يُستنقذ ؟ بالتالي الذي أفهمه من قصة أبو حامد الغزالي ليست دعوته للغير أن يتخوض في هذا الطريق ، بل هو تحذير لمن يتخوض، بالتالي حسبة أبو حامد على أصحاب الشك المنهجي ، وقد أطلعني أحد الزملاء بعدما استدركتُ هذه القضية على صفحات من كتاب أبو عبدالرحمن بدوي وقد ذكر ذات الاستدراك وذات الاسشكال الذي ذكرته لكم قبل قليل.

ومن هنا تأتي نظرية ابن تيمية الثانية أن قصارى ما نستطيع أن نقدمه لهذا المتشكك هو التذكير بهذه المبادئ الفطرية الضرورية ، لا إحداث هذه المبادئ الفطرية الضرورية وكأنها لم تكن موجودة .

الاتجاه الثاني[10]: الاتجاه الاعتقادي أو اليقيني خلاصة أصحاب هذا الاتجاه: أنهم كلهم يتوافقون على إمكان البشر على التوصل إلى المعرفة القطعية اليقينية، وأن يعتقد الإنسان ويجزم بوجود المعارف المتحصلة عنده.

الميزة في أصحاب هذا الاتجاه: أنه يشتمل على كل أصحاب الاتجاهات في مصادر المعرفة، فأصحاب الاتجاه الحسي يؤمنون بإمكانية الوصول إلى المعرفة القطعية اليقينية، وأصحاب الاتجاه الحدسي ، العقلي، والنقدي ... كلهم يؤمنون بهذه القضية.

منطقة الخلاف بين أصحاب هذه الاتجاهات هي: في حدود هذه المعرفة ضيقًا واتساعًا.

فمثلًا: رواد الفلسفة العقلية يرون إمكانية أن يتحصل الإنسان على المعرفة اليقينية ، وأنه لا حدود للمعرفة الإنسانية البشرية متى ما سلك الإنسان الطرق العقلية الصحيحة للتوصل للمعرفة.

فلا يوجد لديهم حد لما يمكن أن يتعرف عليه العقل، لكنهم يشترطون أن يسلك الإنسان منهج صحيح حتى يتوصل إلى مثل هذه القضية

وبالتالي يتسع نظر أصحاب الفلسفة العقلية ليشتمل على العالم الطبيعي، وما وراء الطبيعة، وبالتالي المسألة عندهم واسعة في إطار عالم الشهادة والعالم المغيب .

وأصحاب الفلسفة التجريبية يؤمنون بإمكانية التحصيل اليقيني، وأن بوابة التحصيل اليقيني عن طريق التجربة الحسية، لكن حدود ما يستطيع الإنسان أن يحصل عليه من معارف محكوم بحجم ما يستطيع أن يتعرف عليه من العالم الخارجي عن طريق الحاسة والتجربة، وبالتالي ما كان غير ممكن للإدراك من خلال الحاسة والتجربة فلا يمكن أن يكون مدرَكًا للإنسان، بل يكون خارج حدود المعرفة الإنسانية البشرية .

وبالتالي عالم ما وراء الطبيعة أو العالم المغيب عند أصحاب هذا الاتجاه لا يمكن الاعتراف به معرفيًا ، فلا يستطيع الإنسان أن يتوصل فيه إلى معرفة يقينية قطعية حتى يقف عليه بالحس والتجربة.

أصحاب الفلسفة النقدية[11]: يؤمنون بإمكانية التحصيل اليقيني لكن حدوده محكومة بحدود المُدرَك الحسي.

ففي ضوء هذه الرؤية هل يمكن للعقل أن يولد معرفة؟ لا ، بل قصارى ما يفعله العقل هو التفاعل مع الإدراك الحسي من أجل توليد معرفة، فالإشكالية أن المعرفة ستكون محاطة ومسَوّرة بسور الحس.

---

[10] – في إمكانية المعرفة– هل المعرفة ممكنة، وما حدودها إذا كانت ممكنة – ذكرنا الاتجاه الأول الشكية ، وخلاصته: الشك وأنه لا سبيل لتحصيل المعرفة اليقينية،وتبين لنا بعد الدخول في التفاصيل أن فيه مدارس محسوبة في هذا الإطار وعمليًا هي منتمية للمدرسة الثانية أو الاتجاه الثاني.

[11] (كانت) وفكرة المستقبلات الحسية وصبها داخل أطر وقوالب.

فأصحاب هذا الاتجاه كما ذكرنا يؤمنون بأن المعرفة البشرية الإنسانية ممكن أن تتطلع وتستيقن بظواهر الأشياء لكن لا تستطيع أن تتوصل إلى يقينية تتعلق بماهية الأشياء في حد ذاتها.

الفلسفة الحدسية : أصحاب هذا الاتجاه هم أوسع الاتجاهات من جهة الحدود، فيؤمنون بإمكان أن يصل الإنسان إلى المعرفة اليقينية ، وأن يفوق حدود المعرفة في ضوء هذا التصور العقل والحس معًا، وبواسطة الحدس يستطيع الإنسان أن يدرك ماهية الأشياء وروحها، ويفضي من الظواهر إلى حقائق وماهيات الأشياء.

التصور الإسلامي في مجال المعرفة :

اتجاه الموضوع السابق يعطي إطلالة لمختلف المدارس الفلسفية المتعلقة بنظرية المعرفة من غير أن نقدم جوابات حاسمة لبعض الملفات المتعلقة بالتصور الإسلامي.

المسائل القادمة في السطور التالية جزء منها هي منبثقة فعلًا مما يستطيع الإنسان أن يعبر عنه بالتصور الإسلامي، بمعنى أنها أشياء مستقاة من الكتاب ومن السنة ومعارف بعضها قطعية يستطيع الإنسان أن يبرهن عليها ويدلل من خلال معطيات الكتاب والسنة، ويوجد فصيل آخر من الجوابات المتعلقة ببعض المسائل المتعلقة بنظرية المعرفة هي من قبيل الاجتهادات الذاتية، فيعتبر من المغالطة عندي أن نقول أن هذا هو التصور الإسلامي كأنه هو مدلولات الوحي كتابًا وسنة أو موضع اتفاق بين العلماء، بل قد يكون من الاختلاف ما هو داخل الدائرة الإسلامية، وقد يكون محاولة لتقديم جواب في ضوء التصور الإسلامي، نعم هو اجتهاد لكنه اجتهاد من مسلم يستصحب التصور الإسلامي في تقديم جوابات متعلقة بهذه الأشياء، لكن ضروري أن يكون الإنسان متنبهًا لهذه المقدمة حتى لا يقع في توهم أن كل المقولات التي ستذكر بعد قليل هي بالضرورة من القطعيات الثابتة في الكتاب والسنة، لا، بعضها المسائل اجتهادية قد ينازع الباحث فيها وقد يقدم الإنسان جوابًا أحكم وأفضل من الجواب الذي يقدمه المتحدث معكم .

الملحوظة الأولى فيما يتعلق بالتصور الإسلامي في قضية المعرفة: سعة المجال المعرفي– سعة التصور الإسلامي في المجال المعرفي–

هذه السعة في عدة نواحي

المجال، يعني التصور الإسلامي ينطلق بإمكانية أن يحصل الإنسان على معرفة تتعلق بعالم الغيب وتتعلق بعالم الشهادة، فمساحة ما يستطيع أن يتوصل الإنسان إليه معرفيًا في ضوء التصور الإسلامي واسع، يشتمل على الفضاءين –فضاء الغيب وفضاء الشهادة–، حتى زمانيًا يستوعب الفضاء الدنيوي والفضاء الأخروي، والإسلام يستوعب البعد الزماني السابق والحاضر واللاحق، يعني يستطيع الإنسان أن يدرك ما يتعلق بتفاصيل تاريخية سابقة تمتد إلى بدايات البشر بل حتى قبل بدايات البشر، إلى كثير من الأوضاع الراهنة الموجودة، حتى الحوادث المستقبلية.

التصور الإسلامي فيه سعة على مستوى تنوع المصادر، فالإسلام يتبنى رؤية واسعة فيما يتعلق بمصادر المعرفة والتلقي، ولذا يقول ابن تيمية –رحمه الله– متحدثًا عن مصادر المعرفة والتلقي، ومتحدثًا عن الفلسفة التي تقف خلف تصور الإسلام فيما يتعلق ببعض هذه التصورات، يقول: "فطرق العلم ثلاث – أي المصادر المركزية في التصور السابق ثلاث– أحدها الحس الباطن والظاهر" الحس الظاهر هي الحواس الخمس المشهورة (طبعا هناك جدليّات واسعة في عدد الحواس) والحس الباطن ما يحس به الإنسان على حواسه الخاصة – يعني كيف يتعرف الإنسان مثلا على أنه غضبان، أنه عشطان، أنه جوعان، فيعبرون عنها أنها حاسة باطنة مسؤولة عن إدراك هذه المعارف الباطنة في الإنسان، يقول "وهو الذي تعلن بها الأمور الموجودة بأعيانها " لا حظوا ..الحاسة هي التي تعرّف من خلالها الأشياء بأعيانها مثلا (هذا ليس كتابا مطلقا هذا كتاب بعنوان شموع النهار على سبيل المثال) يعرف الأشياء بأعيانها – أنا أعرف مثلا مجموعة من الزملاء بأعيانهم فلان الفلاني. هذا ما يتحصل عليه الإنسان عن طريق التجربة الحسية.

يقول والثاني "الاعتبار بالنظر والقياس – قضية الفعل العقلي – وإنما يحصل العلم به بعد العلم بالحس فما فاده الحس معينا يفيده العقل والقياس كليا مطلقا " العقل يستطيع أن يتصور الكليات الذهنية (يتصور كتاب مطلق، مجرد عن عنوان ومؤلف فبمجرد قولنا فكّر لنا بكتاب يمكن أن تتخيل كتابا دون تفكير بعنوان الكتاب أو ما يتحدث عنه ذلك الكتاب لكنك تفهم ماهية الكتاب أما في الخارج لا يوجد كتاب مطلق – هذه مساحة.. المعرفة العقلية تولدها) ففي الخارج لا يوجد كتاب إلا مقيدا محددا. ويقول " فهو لا يفيد بنفسه علم شيء معين لكن يجعل الخاص عاما والمعين مطلقا فإن الكليات إنما تعلم بالعقل كما أن المعينات إنما تعلم بالإحساس" لاحظوا.. العقل يستطيع أن يولد معرفة كلية لكن بالعقل لا تستطيع أن تتوصل إلى معرفة جزئية معينة (مثال: هناك شخص الآن يعيش في القارة الأمريكية معين اسمه فلا وفلان وفلان.. لا يستطيع الإنسان إلى معرفته إلا من خلال الحس أو الخبر) العقل .. هل يستطيع أن يدرك العقل هذه القضية التفصيلية؟ لا يستطيع أن يدرك هذه القضية التفصيلية.

"والثالث: الخبر، والخبر يتناول الكليات والمعينات والشاهد والغائب فهو أعم وأشمل لكن الحس والعيان أتم وأكمل" لاحظوا الميزة في العبارة أن ابن تيمية يتحدث عن ثلاث مصادر أساسية للمعرفة الإنسانية البشرية: الحس (الظاهر والباطن) والعقل والخبر، ثم يبدأ يعطيك المجالات التي تتفاعل في هذه المساحات، وهذا يدل على السعة فيما يتعلق بهذه القضية.

ثمة بعض المقدمات التي تتعلق بالتصور الإنساني في قضية المعرفة فمثلا من القضايا المركزية دعوة القرآن ودعوة السنة النبوية لتحرير العقل الإنساني البشري من قيود التقليد والتبعية القائم على الجهل وضيق الأفق؛ ولذا تجد دعوة الله لخليقته بالتأمل والتفكر والاستدلال يقول الله عز وجل " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ " (الحج: ٤٦) وقال

تعالى "وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (النحل:١٢) ولذا ذم الله عز وجل أحوال الذين انغلقوا على العصبية والتقليد " بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ " (الزخرف:٢٢) ويطعن الله عز وجل في مثل هذه التصور.

يشير القرآن الكريم كذلك ويركز إلى مصدر المعرفة الإنسانية البشرية فيقول الله عز وجل " وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (النحل:٧٨) وميزة تخصيص السمع والبصر دلالة على مركزية السمع والبصر كمصدر من مصادر المعرفة البشرية الإنسانية؛ ولذا طبيعة إدراك الإنسان للعالم الخارجي عن طريق حاسة السمع وحاسة البصر أتم وأكمل وأدق مما يتحصله الإنسان من خلال حاسة الذوق أو الشم أو اللمس. ومن الحقائق القرآنية أن المعرفة الإنسانية البشرية في الجملة معرفة مكتسبة – هي كلها مكتسبة من جهة أن الله عز وجل هو الذي يكسب العبد هذه المعرفة؛ ولذا يقول الله "عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق:٥) فالمعرفة الفطرية إنما اكتسبها الإنسان من ربه تبارك وتعالى الذي خلقها فيه وأوجدها فيه وأودعها فيه وبالتالي ما يتحصل للإنسان من خلال المعرفة البدهية والأولية إنما هي بنعمة الله عز وجل – بتوفير هذه المعارف وبتخليق هذه المعرفة وتخليق الإرادة للإقبال عليها وغير ذلك يقول الله تعالى " خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " (الرحمن: ٣-٤) وقال تعالى " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (النحل:٧٨) وبالتالي يتحصل الإنسان على المعرفة تاليا.

من القضايا كذلك التي يقررها القرآن أن المعرفة البشرية الإنسانية والعلوم نسبية إضافية، أن فيها قدر من النسبية في هذه القضية لا يعني انعدام الحقائق الموضوعية ولكن ثمة قدر من النسبية في إدراك العالم الخارجي، يقول الله تبارك وتعالى "وفوق كل ذي علم عليم " وبالتالي هنالك تفاوت في السلم البشري فيما يتعلق بهذه القضية بل في سلم المخلوقات "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" من الأشياء الجميلة مثلا الموجودة في التصور الإسلامي وضع المسؤولية المعرفية، بمعنى أن مايدّعيه الإنسان بدعوى من المعارف – لابد أن يقيم الإنسان البرهنة والدليل عليها، وإذا قدم الإنسان دعوى غير مبرهنة فهو مسؤول عمّا يدعيه. (ملاحظة: هناك انقطاع بعد هذه المعلومة من المصدر (الفيديو) ثم انتقل إلى الموضوع أدناه)

ومن خلال الدراسة والموضوع، اكتشفت أن الدراسة أكثر عمقًا من هذا، حيث معرفتنا بالعالم الخارجي قد تتشوه بسبب الأثر النفسي والمزاجي للإنسان.فمثلا "بلينك" ذكر قصة غريبة وطريفة أن هنالك أحدهم، من السود في أمريكا في أحد الأحياء الأمنية المنخفضة ، نزل من شقته وجلس عند باب البيت ولا يُعرف لماذا كان يجلس هنالك، أكان يريد أن يتنفس الهواء في الليل أو التدخين، يعني شاب جالس في المكان هذا، وظهرت سيّارة كان بها أربعة من أفراد الشرطة وكانوا يرتدون لباسهم المدني، فأحدهم أطل برأسه ورأى هذا الشخص وهو واقف، فشك

في أحد أمرين، إما أنه مغتصب متسلسل (**serial rapist**) –كان لديهم في الحي مغتصب متسلسل منذ سنة ولم يُقبض عليه– أو أنه لص، وهنالك من اللصوص لديهم في أمريكا يقومون بدقّ الأبواب وإذا فُتح الباب يقتحمون المنزل وشخصافي الخارج من هؤلاء اللصوص يراقب ليحذر زملاءه إذا طرأ أمر ما، فشك الشرطيّ و بنى عنده صورة ذهنية مسبّقة عن أن هذا الرجل الواقف –المذكور سابقا– أنه حرامي أو مجرم ، فأوقفوا السيّارة ومرّوا أمامه فمدّ الرجل هذا رأسه و نظر لهم الرجل مستغربًا ماذا يفعلون. فلما نظر لهم هكذا ومدّ رأسه تشكّكوا زيادة من أنه جالس ليراقب الوضع وأوقفوا السيارة ثم رجعوا "للخلف" "أعتقد يعني رجعوا بالسيارة مرة أخرى لمكان الرجل أو رجعوا له مشيا على الأقدام"، وهم راجعين للخف علّق واحد منهم؛ لأن هذا الشخص واقف ومستند على الجدار ، فظنوا أنه مجرم محترف لا يهمه شيء، يعني غيره من المفروض أن يهرب ولكن هذا الشخص أبدا واقف مكانه لا يهمه شيء، نزل له اثنين من الشرطة وقالوا له "**Police**"، ارفع يديك " وهو لم يكن يعرف اللغة الإنجليزية بشكل جيد وعنده تأتأة ، فلما ظلوا يقتربون منه خاف، وكان له صاحب من أسبوع تمت سرقته ، فخاف أنهم من اللصوص أو شيء من هذا القبيل، فماذا حصل ؟!، هرب الرجل وركض وصعد درج البيت وأخرج المفتاح يريد مفتاح البيت، طبعا لما هرب هذا الشخص وخاف ماذا حصل للجماعة –أفراد الشرطة– ؟ خافوا أنه مجرم وهكذا فصاحوا به ارفع يدك وكذا كذا كذا ..إلخ.

فكان الشخص وظهره مواجها لهم، وأدخل يده في المعطف الخاص به وعندما استدار صرخ أحد أفراد الشرطة "عنده مسدس" فأخرج مسدسا وقفز للخلف ومع قفزته للخلف تلك، أطلق على صاحبنا النار، أطلق عليه النار، وصاحبنا خائف من أن تنطلق عليه النار فجلس في زاوية الباب وهو محشور، فظنوا أنه متخذ وضعية إطلاق النار عليهم، وهذا الشخص لما سمع طلقة النار، أراد أن يطلق النار حتى في الهواء.

الآخران الموجودان في السيارة نزلا ورأوا صاحبهم سقط على الأرض والثاني يطلق النار، فأطلقوا النار، وفرغوا في فوق الأربعين رصاصة!!

فسقط ميتًا فجاء أحدهم يبحث عن المسدس –المُتوَهّم– فوجد في يده محفظته ليخرج منها بطاقة منزله فصرخ : أين المسدس؟!!

الدروس المستفادة من القصة وما يتعلق بالحالة النفسية :

- من الظواهر التي تؤكد ما سبق، وكثير من الدراسات المتعلقة بأفراد الجهاز الأمني يلاحظون ... عند إطلاق الشرطة للنار على الطرف المقابل يستنفذ كل الطلقات الموجودة بسلاحه ! فهو الآن عقلياً يدرك أنه لو أطلق طلقة واحدة أو اثنين على الأكثر سيصيب الهدف المطلوب، فلماذا يخرج كل الطلقات الموجودة بسلاحه ؟

- نجد أنه من الأشياء العجيبة في حدوثها أن الإنسان في لحظة التوتر والخوف الشديد، يبدأ الجسم يغلق (الخدمات الثانوية) أي أنه في وقت الإضطراب النفسي الشديد لا يحتاج إلى الخدمات الثانوية، فيعتبر الجسم حاسة السمع في هذه الحالة غير مهمة !
- في هذه الحالة المهم والضروري هو البصر .. والطبيعي في حالة البصر الطبيعية فيها نوع من السعة، ولكن في حالة الخوف الشديد يصبح النظر في حالة تركيز شديد ومحصور في إتجاه معين. فيحدث أنه في حالة الذعر الشديد يخرج طلقات متتالية وحاسة السمع الآن ملغية ! فهو لا يسمع فيظن أن سلاحه لم يخرج طلقات ! فيقوم بتكرار الإطلاق فيزداد التوتر والخوف، وتزداد عدد الطلقات تباعاً.
- الشاهد من القصة .... إن إدراك الإنسان للعالم الخارجي يتأثر ب (المزاج النفسي) وهي أحد الخدمات المركزية الموجودة عند الإنسان ..

وفي الكتاب (**Thinkings fast and slow**)فكرة الكتاب تتحدث عن نمطين في التفكير لدى الإنسان ..

الأول : تفكير سريع .. مثل التعرف على أمزجة الناس من خلال النظر إلى وجوههم. فالطفل الصغير يستطيع أن يدرك هل هذا الشخص حزين أم سعيد أم هو مجهد وهكذا ... فتكون المعرفة سهلة تلقائية ولا تحتاج إلى كثير من التفكير .

الثانى : التفكير البطيء أو(المعيار الكلاسيكي)..مثل العمليات الرياضية المعقدة، فهى تحتاج إلى تركيز وتفكير متأنى.

وكلا الأمرين ينعكس علي الطبيعة الفسيولوجية للجسم .

مثلاً : في حالة التفكير العميق يحتاج الإنسان إلى قوة تركيز وتضيق حدقة العين وتتغير نبضات القلب وهكذا ...

– أحد الخدمات التى يعتبرها الجسم ثانوية في حالة الخوف والذعر الشديد , التعرف على مشاعر الناس من خلال وجوههم وإلا لعرف الشرطة من ملامح الرجل أنه خائف جدًّا، لكن الذي حصل في هذه الحالة أن تم تعطيل هذه القضية لصالح المهمة والوظيفة الأكثر أهمية

– أيضاً أحد القضايا التى ينبغي إدراكها أن الحاسة في حالة نقلها للعالم الخارجي قد تتأثر بالمعطيات الحسيّة المتعلقة بالإنسان

– أيضا ما يتعلق بالتشكيك في المعطيات الحسيّة , أن هناك ألاعيب يمكن أن تمارس وهكذا ..

فإليكم زبدة ما عندي وما يمكن شرحه في هذه القضية (أن يردها الإنسان بمقتضيات الفطرة) وهذا هو المبدأ القضية التعلق بفطريّة المعرفة الحسيّة.

هناك أشياء يتلقاها العالم الخارجي لا يستطيع الإنسان أن يدفعها لمجرد التشكيك، ولا يمكن أن يطرد التشكيك مطلقاً في هذه القضية

العقل ..

مفهومه على لسان الشارع ولسان العلماء إجمالاً يدور حول أربع معاني مركزية :

- 1الغريزة أو الأداة وهي التي يمارس من خلالها فعل التفكر والتعقل ..

مثال : حينما تقول فلان فقد عقله أي أفتقد الآلة أو الغريزة التي من خلالها يفعل فعل التفكر والتعقل

٢ – المعارف الضرورية ..

أحياناً يقال مثلاً أن فلان يناقض العقل أي يناقض المعقولات الضرورية

مثال : لو قال قائل أنا أستطيع أن أصنع جسم لا ساكن ولا متحرك، فتقول له أنت تقول كلاماً يخالف العقل ! فكيف تدعي الجمع بين نقيضين ؟!

٣ – المعارف النظرية ..

وهي المستدل عليها والمكتسبة المبنية على المعارف الضرورية قد تطلق علي مصطلح العقل

4– العمل بالعلم ..

أي أنه إذا ترك الإنسان العمل المتعين الواجب بمقتضى العقل فهذا يسمى بلا عقل

وهذا كما ذكر الله في حديثه عن الكافرين وتشبيههم بالأنعام , قال تعالى : (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ..)

ترى هنا المعطيات الغريزية موجودة والمعارف الضرورية وحتى النظرية ممكن موجودة ! ولكن المشكلة تخلف الثمرة من العلم , وبالتالي ينزع عن الإنسان صفة العلم والعقل إذا ترك العمل بعلمه

فالعقل بإمكانه أن يتحصل على تصورات التصديقيات , والتصورات هذه عبارة عن مفردات ذهنية مجردة والتصدقيات هي النسبة والإضافة بين مفردتين ذهنيتين, مثل : الحجر قاسي ... وغيرها

مثل ما ذكر (ابن تيمة) أن العقل يستطيع أن يتوصل للمعارف الكلية , لكن لا يستطيع بذاته أن يتوصل إلى أعيان الأشياء وأعيان الحوادث

ولذا من مجال المعرفة العقلية أن العقل يمكنه الإطلاع على الأمر الممكن والأمر المستحيل والأمر الممتنع .

و تحقق أمر ممكن في نفس الوقت في الواقع لا يستطيع العقل أن يدركه .

مثال : تمثيل الإستخدام الكلاسيكي أو تمثيل عصري , هل عقلاً يجوز أن يكون ثمّة حادث سيارة الآن في احدى الشوارع ؟ ممكن أم واجب أم ممتنع الحدوث ؟

عقلاً هذا ممكن .. لكن

هل ثمّة حدث رؤية السيارة الآن ؟ هل يستطيع العقل أن يتوصل إلى معرفة أنه حدث حادث سيارة الآن ؟

لا يستطيع العقل بمجرده هذا .. هذه فكرة حدث أعيان

– من القضايا المركزية التى تتعلق بالعقل وذكرناها مراراً وهي من الأشياء المثبتة داخل التصور العقلي هي قضية (المبادئ الفطرية .. (

وهي المبادئ البديهية الضرورية , وأن هذه المبادئ (القضايا البديهية)

تتسم بقضيتين مركزيتين

١ / الضرورية .. بمعنى أنها غير قابلة ل (التشكيك) وأن الإنسان يجدها في نفسه ضرورة ولا يقبل الشك فيها ويدفع عنها كل محاولة للتشكيك فيها

مثال : في المعارف النظرية حينما يأتيك بمعادلة معقدة ,١+١ تساوي ٢ بداهة ! فلو قلت لك ، لا ٣ أو ٤ ففي الغالب لن تقبل التشكيك فيها

فإذا قلت لك ٣٧١ قسمة ٤٥٠١ وتبدأ في معالجتها حتى تصل إلى النتيجة النهائية المرجوة , فلو قيل لك النتيجة خاطئة ! ماذا تفعل ؟

بالتأكيد ستعيد معالجتها مرة أخري , لأنها مسألة قابلة للتشكيك .

إذاً .. السمة الأولى التي تتسم بها الحقائق الفطرية (الضرورية) بمعنى أن يجدها الانسان من نفسه ضرورة ولا يقبل أن يشكك فيها .

٢ / السمة الثانية: الكلية ... بمعنى أن ثمة حالة من التوافق عليها , وأن حالة التوافق عليها هذه منتشرة في كل زمان ومكان , ولن تجد إنسان أو معطي متعلق بهذه القضية إلا وهو يسري في كل فضاء وكل حقيقة وكل زمان .

– قضية الجمع بين نقيضين ..

هو حكم ثابت عقلي مستقر من لحظة ما خلق الله السموات والأرض وقبلها وبعد ما تنعدم السموات والأرض , فهذا مبدأ السببية مبدأ الجمع بين نقيضين من المبادئ العقلية الضرورية المستقرة والثابتة

– القضية الأخيرة ...

الخبر الصادق: يعني كذلك من المصادر للتحصيل المعرفي وهي لا تكون إلا بمعاضدة الحس والعقل

يقول ابن تيمية رحمه الله ؛ طرق العلم ثلاثة (الحس والعقل ومركب منها كالخبر)

وأيضاً متعلق بقضية الخبر الصادق .. وقضية التواترو الأحاد والتفريق بين المقامين في افادة القطعية واليقينية. سواء في خبر الشارع أو في غير خبر الشارع.

وكذلك معطيات الوحي، مما يتعلق بالقرآن والسنة وطبيعة الدليل الشرعي، كما يعبر عنه أهل العلم، ينقسم إلى قسمين ...

١) أدلة عقلية ..

الواضح منها أن المستفاد وهو تضمن الوحي دلالة العقل وما أكثرها من أنفس الكتب في هذا كتاب الأدلة العقلية النقلية ل د. سعود العريفي

٢) أدلة خبرية نقلية ..

وهو ما يتعلق بهذا المورد والمبرهن علي تصحيح الوحي , هو الأدلة المبرهنة علي صحة النبوة من جهة أول إثبات إمكانية النبوة بوجود الله عزوجل، ثم وجوب النبوة من جهة كمالات الله عزوجل , ثم إعتبار تثبيت الدلائل التى يقوم عليها الإيمان بالنبوة

نبوة النبي محمد صلي الله عليه وسلم إذا ثبتت عند الإنسان دلائل النبي وصدقه فإنه ينبغي أن يتلقي أخباره تلقي الصادق

هناك نقاط أخيرة أُجمل في عناوينها...

– قضية الوحدة المعرفية ..

وهي فكرة التكامل بين المصادر المعرفيه المتنوعة

مثلا في الإطار الشرعي عندنا لا تعارض بين العقل والنقل وهناك فلسفة طويلة متعلقة بهذه القضية,

وهناك نوع من أنواع التكامل في الفعل العقلي والفعل الحسي والفعل الخبري

– الواقعية المعرفية ..

وما يتعلق بالتصور الإسلامي بطبيعة العلاقة بين الذات المدرِكة في الداخل والذات المدرَكة في الخارج .

– ومن المصادر الموفقة الكتاب الذى أشرت إليه (كتاب منهج ابن تيمية المعرفي) جيد في هذه القضية

هذه بعض الإشارات والقضايا المعروفة بقضية المعرفة ..

أسأل الله عز وجل أن يكون فيما ذكرت نفع وفائدة وصلي الله وسلم علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

* ملاحظة: التفريغ تم بتصرف بسيط